
المكتب 17
إدارة المهام الخاصة
روايات مصرية للجيب
6
Looloo
www.dvd4arab.com
عملية الداهية
طباعة ونشر
المؤسسة العربية الحديثة

مقدمة

قليلون هم الذين يعيشون تلك الحياة المفعمة بالحركة والإثارة، المحفوفة بالمخاطر والأشواك، من شرك إلى مصيدة، ومن موت إلى موت ..

قليلون هم الذين يهوون الحياة فى قلب الجحيم، حيث الهلاك هو اسم اللعبة، وحيث الدهاء هو الطريقة الوحيدة لكى تلعبها، فإما النصر، وإما القتال حتى النفس الأخير ..

قليلون هم الذين حملوا قلوبهم الفتية على أكفهم، وألقوا بأنفسهم فى دوائر النهاية دون لحظة تردد واحدة ..

قليلون هم، ربما تبلغ ندرتهم حد أن يمضى بنا قطار العمر دون أن نشهد أحدهم ولو بالصدفة، لكنهم دومًا موجودون من حولنا، يبنون مجد أوطاننا بدمائهم وأرواحهم، ويحرسون أيامنا

وأحلامنا من أنياب وحوش الغاب الضارية، ومن هؤلاء الذين لا هَمَّ لهم إلا أن يطلوا جدران غدنا بالسواد القاتم ..

و (عمر زهران) هو أحد هؤلاء القليلين ..

إنه بطل آخر ممن تزخر بإنجازاتهم ملفات الوطن، وهو من سيرافقنا عبر روايات هذه السلسلة الجديدة بإذن اللّه ..

من هو؟ كم عمره؟ أين ومتى وكيف ولماذا .. إلخ؟ كلها أسئلة ستجيب عن نفسها بنفسها خلال الصفحات القادمة، كل ما يهمنا معرفته هنا أنه إنسان، مثلى ومثلك ومثلنا جميعًا، له من العيوب قدر ما له من المزايا، لكنه فى النهاية يحمل قلبًا عاشقًا للوطن، والأرض، والناس .. يهمنا كذلك أن نشير هنا إلى تلك الهيئة الأمنية الحديثة التى نشأت على أرض (مصر) بقرار رئاسى، وهى هيئة ذات

سلطات غير محدودة ، مهمتها التعامل مع القضايا ذات الطابع الخاص ، المحاطة بأعلى قدر من السرية ، والتى تتطلب كفاءات رفيعة المستوى للتعامل معها ..

هيئة تعرف باسم (المكتب ١٧) ..

محمد سليمان



بدأ كل شىء فى (ريتشموند) ، المقاطعة الريفية الهادئة على أطراف (لزون) ..

امرأة فرنسية مُقعدة ، يغتال معاونوها رجلاً جلبوه فى تابوت مغلق ، ثم يلقون بجثته فى ركن منزوٍ من حديقة (هايد بارك) الشهيرة ، لتكتشف السلطات وجودها فى اليوم التالى ، فى نفس الوقت الذى يصل فيه (عزرا أهارون) - رجل الوحدة (٨٢٠٠) الذى لم يعد جوادًا رابحًا - إلى المدينة الغارقة فى الضباب ، ليقابل الداهية (إيلى زامير) الذى يوكل إليه مهمة ، يتعاون فيها مع شريك جديد ..

من ؟!

المرأة الفرنسية المُقعدة ، (مادلين تشايمر) ، خبيرة التقنيات التى لم ننسها بعد !

وفى (القاهرة) ، ترد أنباء من (لندن) مفادها وجود صفقة فى طريقها للانعقاد بين الوحدة (٨٢٠٠) ، و(بيتر ماكلويد) رئيس شركة (ستاركوا) الشهيرة ، وهى صفقة تتعلق بمعلومات عن (مصر) ، وهذه المعلومات محفوظة خلف (خط النار ٧) ، الجدار الإلكترونى المنيع ذى المواصفات شديدة الخصوصية .

وهكذا تسند مهمة جديدة إلى (عمر زهران) ورفيقته ذات الحسن الصارم (دينا واصف) ، بدأت فى منتصف ليلة الوصول إلى (لندن) ..

ينجح (عمر) فى زرع برنامج اختراقى متطور داخل النسخة التجريبية لـ (خط النار ٧) فى الوقت الذى يصل فيه (عزرا أهارون) إلى (ستاركوم) لبدء المفاوضات حول إتمام الصفقة ، وبعد مطاردات أحالت ليل المدينة قطعة من النهار استطاع (عمر) و(دينا) الإفلات بأعجوبة ، لكنهما يكتشفان أن المعلومات ما زالت بعيدة عن المتناول ..

أما فى المكتب (١٧) فقد تم استنباط نوعية المعلومات

وراء (خط النار) ، وعلى ضوء ما تم استنباطه يتعذر الإبراق إلى (عمر) و(دينا) بضرورة العودة فورًا ..

لكن ..

إثر خدعة محكمة يقعان فريسة لها ، يجد (عمر) نفسه ـ وبجواره (دينا) فاقدة لوعيها ـ وجهًا لوجه أمام (مادلين) فى المنزل الريفى الذى تستأجره فى (ريتشموند) ، وقد أسفرت عن وجهها الشرس ، وقررت الانتقام ..

لقد حصلت على المعلومات وخزنتها على القرص الصلب لحاسبها الآلى النقال ، وأودعت (عزرا) تابوتًا مغلقًا ، وقيدت (عمر) و(دينا) بأساور معدنية مغلقة بأقفال إلكترونية مستحيلة الفتح إلا بتتابعات رقمية معينة ، واستعدت لتفجير المنزل الريفى وهما بداخله ..

عندما ..

ظهر الداهية فجأة فى قلب الأحداث ..

ووجدت (مادلين) نفسها داخل المصيدة التى صنعتها ، فلم تحتمل أعصابها وخرت فاقدة الوعى !

أصبح (عمر) وحيدًا .. مقيدًا .. مع امرأتين بلاوعى .. داخل غرفة صغيرة فى الطابق الثانى ، وهناك قنبلة إلكترونية حديثة ستنفجر بعد أقل من ثلاث دقائق ..

ومع ابتعاد الداهية ، انفجر المنزل ..

وأصبح هشيمًا تذروه الرياح ..

* * *

١ ـ فجر يوم جديد ..

المكتب (١٧) ـ إدارة المهام الخاصة ـ مكان ما فى قلب (القاهرة) ..

اجتازت (هيونداى) خضراء حديثة الحاجز الأمنى الخارجى المحيط بمبنى الإدارة ، بعد أن أدى ضابط أمن البوابة التحية العسكرية لقائدها فى احترام شف عن علو رتبة وجلال مكانة ..

وفور أن توقفت فى المكان المخصص لها بساحة الانتظار الواسعة أمام المبنى ، هبط منها رجل امتزجت فى ملامح وجهه بدايات الكهولة بحدة وحزم ، جعلاه أهلاً للقب الذى يطلق عليه فى الإدارة ..

(الصقر العجوز) ..

أسرع العميد (منصور حرب) يهرول نحو البوابة الزجاجية الأنيقة فى صدر المبنى الغارق فى سواد الليل الهادئ ، الذى لم تبدد من وحشته المصابيح المضيئة

من حوله ، دون أن تشى ملامحه الحادة دائمًا الحازمة أبدًا بشىء مما يعتمل بين جوانحه ..

غير أن هرولته على هذا النحو غير المعتاد إلا فى حالات الطوارئ ، مع رجفة ـ ربما كانت غير ملحوظة ـ فى عضلات وجهه ، على الجانب الأيسر من فمه ، كانتا كافيتين للدلالة على البراكين الثائرة فى أعماقه بحمم مشاعر لا أول لها ولا آخر ..

أولج بطاقته الممغنطة الخاصة فى جهاز معلق بجوار البوابة ، أضاء على الفور باللون الأخضر ، وارتفع صوت نسائى معدنى يقول عبارة آلية صاحبت انفتاح البوابة :

ـ إيجابى ، يسمح بالدخول ..

لم يجد الوقت الكافى لسماع العبارة مع اجتيازه للبوابة فور انفتاحها ، ولم يعر ضابطى الأمن اللذين أديا التحية العسكرية فور رؤيته التفاتًا ، وبنفس الهرولة والوجه الحديدى ذرع ممرات الإدارة ، حتى

توقف أمام مصعد أقله بسرعة لأحد الأدوار العليا ..

ومن جديد أخذ يذرع الممرات الطويلة المتشابكة ، التى أفضت به إلى قسم متابعة العمليات الخاصة ، واقتحم فى النهاية إحدى غرفه دونما استئذان ..

ـ من ؟!!

هتف بها الشاب المتأنق الجالس فى منتصف الحجرة أمام شاشة حاسوب ضخم ، وهو ينتفض من فوق مقعده فزعًا ، وقد تبخر فزعه على الفور عندما رأى العميد (حرب) أمامه ، فتنهد فى راحة نسبية ، وقال فى نبرة أهدأ :

ـ أهو أنت يا سيادة العميد ؟!

أشار العميد (حرب) إلى الطاولة المجاورة لطاولة الحاسوب الضخم ، سائلًا فى جمود لَخفى خلفه انفعالاته الحقيقية :

ـ ألم تنته من تناول العشاء بعد ؟!

ارتسمت نصف ابتسامة مرهقة على شفتى الشاب ،

وهو ينظر إلى موضع إشارة العميد ، حيث صندوق (البيتزا) المفتوح وزجاجة الكولا ، وقال :

ـ لعلك تقصد الإفطار ياسيادة العميد .. إنها الرابعة صباحًا !

ـ صباح الخير إذن يا عزيزى ..

قالها العميد (حرب) وهو يغلق الباب خلفه ، بينما صمت الشاب وقد ارتج عليه للحظات ، وعيناه تتابعان العميد الذى جلس على مقعد شاغر فى طرف الحجرة ، وقال دونما مقدمات :

ـ وصلتنى رسالتك العاجلة فقررت الإتيان بلا تأخير لأعرف منك كل شىء .. وقبل أن يفتح الشاب فاه ، قال العميد مشيرًا بكفه إلى مقعده أمام الحاسوب .

ـ لماذا لا تجلس وتخبرنى بكل شىء ؟!

جلس الشاب وهو يقول هازًا كتفيه :

ـ لايوجد الكثير من التفاصيل ياسيدى ، كل المعلومات أبرقت بها فى رسالتى إليك ..

ـ أخبرنى بها مرة أخرى إذن يا عزيزى !

لم يجد الشاب بديلاً عن الإذعان أمام لهجة العميد (حرب) الحاسمة ، فقال مشيحًا بوجهه ليدارى مطه لشفتيه :

ـ بصفتى المسئول عن متابعة عملية (خط النار) ، التى يتولاها تلميذك النقيب (عمر زهران) ومعه خبيرة التقنيات والشبكات (دينا واصف) ، فقد لاحظت عبر سجلات مطار (هيثرو) أنهما لم يستقلا طائرة (لندن) ـ (القاهرة) المتفق عليها بعد أن تم إلغاء العملية !

ـ هل وصلت الطائرة ؟!

هز الشاب رأسه نفيًا وقال مجيبًا :

ـ ليس بعد ياسيدى .. لكن قوائم الركاب لاتحوى الاسمين المستعارين اللذين أبرقنا لهما باستعمالهما ..

ـ وهل أخذا التذكرتين وجوازى السفر من عميلنا بمكتب شركة الطيران ؟!

أشار الشاب بسبابته إلى الشاشة التى انعكس عليها وجهه مجيبًا :

ـ هذا ما أرسلت لأسأل عنه .. ولم يصلنى منه الرد بعد ..

أخذت الوساوس السوداء تلهو برأس العميد (حرب)، وغمغم لنفسه متسائلاً :

ـ ترى .. ما معنى هذا ؟!

تناهت غمغمته إلى أذنى الشاب الذى تبرّع بإجابة سخيفة من نوع :

ـ معناه أنهما ما زالا فى (لندن) يا سيدى !

رمقه العميد (حرب) بنظرة خاوية ، قبل أن ينتزع نفسه من فوق مقعده انتزاعًا ، ويغادر الغرفة دون أن ينبس بكلمة واحدة ..

ربما كانت إجابة الشاب سخيفة فعلاً ـ هكذا فكر وهو فى طريقه لمكتبه ـ لكنها تحمل فى داخلها معانٍ جمة ، تظللها كلمة واحدة كبيرة مكتوبة بلون أحمر دموى .. الخطر !

* * *

أطلال المنزل الريفى ـ (ريتشموند) ـ (لندن) ..

نشر الفجر أجنحته الضبابية فى سماء (لندن)، ولم تنجح الأشعة الذهبية الخافتة التى ترسلها شمس الصباح الباكر فى تبديد سحب الضباب التى تكلل أجواء المدينة منذ الأزل ..

وعلى غير المعتاد فى منطقة هادئة مثل (ريتشموند)، تجمع عدد من المزارعين والعمال الأجراء حول أطلال منزل ما زالت النار تلتهم أخشابه ، وقد أحاطت عربات (سكوتلانديارد) ـ بالعلامات المميزة على جوانبها ـ المنطقة صانعة حزامًا أمنيًا حولها ، وأخذ رجال الشرطة وأفراد البحث الجنائى يعملون فى صمت بليغ ، لا يقطعه إلا همهمة هنا أو هتاف محدود هناك ، فى حين صنع الضوء الأحمر المتقطع الصادر من قمم العربات مفعوله المطلوب فى نفوس المتحلقين الذاهلين ..

بدت عينا المفتش الحمراوين وكأنهما مازالتا عاجزتين عن تصديق ما ترياه ، إن منطقة هادئة كهذه لم تعهد أبدًا من قبل حوادث من هذه النوعية ..

انفجار منزل ؟!

هنا فى (ريتشموند) ؟!!

ـ لقد انفجر منذ ساعتين تقريبًا ..

نظر محنقًا إلى رجل البحث الجنائى الذى سكت دهرًا ونطق كفرًا ، وقال :

ـ ظننت وجودك هنا لهدف أسمى من ملحوظة حمقاء كهذه !

ابتسم الرجل وكأنه اعتاد مزاج المفتش المتعكر دومًا ، وقال :

ـ أمازلت تمقت الاستيقاظ مبكرًا يا عزيزى (ماك) ؟!

ـ وأمقت كذلك المفاجآت غير المتوقعة ..

بمجرد أن أنهى عبارته ارتفع صوت أبواق سيارات

الشرطة المميزة من الطريق الأسفلتى القريب ، فالتفت إلى حيث مصدر الصوت ـ وكذلك فعل رجل البحث الجنائى وكل الواقفين ـ ليشاهد عددًا من سيارات الشرطة تقترب ..

سيارات شرطة ذات طابع خاص جدًا ..

ـ إليك إذن إحداها ، عزيزى (ماك) ..

هتف بها رجل البحث الجنائى فى جذل ، وتابع دون أن تفلت يداه ما تصنعانه :

ـ نائب رئيس شرطة (لندن) بنفسه يشرفنا بمجيئه !

ـ تبًا لك وللمفاجآت ولنائب رئيس شرطة (لندن) ..

غمغم بها (ماك) وقد بلغ به الحنق ذروته ، ثم عدَّل من هندامه واستعد ليكون فى استقبال الزائر غير المتوقع ..

هبط من أولى السيارات وأكبرها رجل ممتلئ ، فى العقد السادس من عمره ، أشقر شعر الرأس والشارب ، أزرق العينين ، صارم المحيا حتى إنه يصعب عليك تخيل هذا الوجه يضحك !

ـ مرحبًا بك يا سيد (جوتمان) ..

نطق بها المفتش (ماك) فى احترام يليق بمكانة نائب رئيس شرطة (لندن)، وهو يؤدى له التحية المتعارف عليها، فبادله (جوتمان) التحية، وقال بصوت رخيم مزعج دون حتى أن ينظر شطره :

ـ ما الذى يحدث ها هنا، مفتش (ماك) ؟!

وطفق يرمق أطلال المنزل المنفجر، متابعًا دون أن يلوح شبح سخرية فى كلماته :

ـ هل قامت الحرب فى مقاطعتك أم ماذا ؟!

ابتلع (ماك) ريقه، ثم قال محاولاً أن يبدو عمليًا واثقًا من معلوماته :

ـ إنه انفجار محدود تم منذ ساعتين يا سيدى، انتقلنا على إثره إلى هنا ..

أشار (جوتمان) إلى جهة ما قائلاً دون أن تتبدل لهجته :

ـ هذا ليس كل شىء .. مفتش (ماك) !

نظر (ماك) إلى حيث أشار، وفهم ما يرمى إليه على الفور، هو يريد أن يعرف كل التفاصيل الممكنة إذن ..

فحيث أشار، كان عدد من رجال الشرطة يتعاونون مع رجال البحث الجنائى فى حمل جثث متشحة بالسواد، ليضعونها داخل حقائب جلدية خاصة، لتنقل حيث يتم تشريحها فى معامل الطب الشرعى ..

ـ لدينا أيضًا أربعة رجال مقتولين فى مسرح الجريمة يا سيدى ..

قالها (ماك) فى اقتضاب، ثم استطرد :

ـ كلهم قتلوا بنفس الطريقة، رصاصة فى منتصف الجبهة من على مسافات متقاربة، وهو عمل إن نم فإنما ينم عن احتراف ومهارة .. وقد استطعنا التعرف مبدئيًا على هوية أحدهم، فرنسى هو، هارب من (الإنتربول) ومتهم فى عدد هائل من القضايا المتراوحة ما بين السرقة والتزوير والقتل ..

قطّب (جوتمان) لتزداد ملامحه صرامة فوق صرامة ، وغمغم بصوت أشبه بالهتاف :

ـ فرنسى أيضًا ؟!

عاد (ماك) يستطرد بعد أن التقط أنفاسه :

ـ هناك امرأة فرنسية كذلك ياسيدى ، هى امرأة مقعدة استطاع المزارعون وبعض الساكنين فى الجوار التعرف عليها ، وقالوا إنها هى التى استأجرت المنزل منذ بضعة أيام ، وأن هؤلاء الرجال كانوا يعملون تحت إمرتها ..

بدا (جوتمان) مستغرقًا فى التفكير وهو يسأل :

ـ وأين جثتها ؟! هل نقلتموها قبل هؤلاء ؟!

ـ جثتها ؟!

هتف بها (ماك) فى شىء من الاستنكار ، سارع بإخفائه وهو يردف :

ـ عذرًا ياسيدى ، ربما لم أوضح الصورة بما يكفى .. الفرنسية لم تمت ، وإنما عثرنا عليها فاقدة لوعيها بجوار جثث رجالها !

استحال وجه (جوتمان) إلى ما يشبه شيطانًا مريدًا وهو ينظر إلى (ماك) سائلاً :

ـ تعنى أنها حيّة ؟!

حارِ (ماك) جوابًا ، لكنه ابتلع ريقه وهو يجيب مسائلاً نفسه ، إن كان قد أخطأ فى شىء :

ـ أجل ياسيدى ، إنها حية .. وقد قامت عربة إسعاف مجهزة بنقلها للمستشفى القريب ، ليتم استجوابها عندما تفيق ..

صمت (جوتمان) هنيهة ، شخص فيها ببصره نحو المجهول ، ثم قال بلهجة آمرة :

ـ كثف حولها الحراسة ، وسوف أستجوبها بنفسى عندما تفيق .. مفهوم ؟!

ـ مفهوم ياسيدى !

ـ أهذا كل شىء ؟!

سأل (جوتمان) وهو يدور بعينيه كأنه قناص يود

صيد خطأ هنا أو هفوة هناك ، وأسرع (ماك) يجيبه محاولاً أن يسد أمامه كل السبل :

ـ إن كنت تسأل عن الأدلة ياسيدى فلدينا البعض منها ، هناك آثار لإطارات سيارة (رولزرويس) ، قدَّر الخبراء أنها نشأت قبل الانفجار بدقائق قليلة ، هذه الآثار تنتهى عند الطريق الأسفلتى هناك ، كما أن هناك آثار أخرى لسيارة لم يستدل على هويتها بعد .. وإن كانت هى الأخرى حديثة ، ربما أحدث من آثار (الرولزرويس) !

حك (جوتمان) ذقنه بأظفاره مغمغمًا :

ـ سيارة أخرى ؟!

ـ فى الأمر نقطة غامضة أخرى ، فقد وجدنا آثار أقدام غريبة !

ـ هل كانت لديناصورات منقرضة أم ماذا ؟!

تجاهل (ماك) ما فى لهجة محدثه من تهكم ، وقال :

ـ بل بشرية ياسيدى .. لكنها لاتأخذ التوزيع المتعارف عليه للخطوات الآدمية ..

وسارع بالإجابة عن الأسئلة التى لاحت فى عينى (جوتمان) قبل أن تتحول لقنبلة سخرية فى وجهه :

ـ القدمان فى هذه الآثار تبدوان متلاصقتين طوال الوقت ، كأنهما لإنسان يقفز كالأرانب ولايمشى .. وهناك أثران لزوجين مختلفين من الأقدام !

صمت (جوتمان) محدقًا فى وجهه دون أن ينطق ، فبادله (ماك) الصمت بأبلغ منه حتى هتف به الأول :

ـ أرانب .. هه ؟!

أومأ (ماك) برأسه مجيبًا :

ـ إنه من أكثر الأمور التى تحيرنا ياسيدى !

زعق به (جوتمان) :

ـ وهل تسمى هذه أدلة أيها المفتش ؟!

جفل (ماك) الذى لم يتوقع ردًا ناريًا كهذا ، بينما تابع (جوتمان) صياحه فى وجهه :

ـ ألم تحاول الإجابة عن الأسئلة المهمة ها هنا ؟! من هذه المرأة ؟! ما قصتها ؟ ومن وراءها ؟! ومن هم رجالها هؤلاء ؟! متى دخلوا البلاد وكيف ولماذا ؟! وماذا تخفى هذه الأنقاض عنا ؟! أليست هذه الأسئلة البديهية أهم من آثار السيارات والأرانب إلى آخر هذا اللغو ؟!

قال (ماك) محاولاً الحفاظ على اتزانه ورباطة جأشه :

ـ بلى يا سيدى .. وقد بدأنا فعلاً فى عمل التحريات اللازمة ، وفور اكتمال المعلومات المطلوبة سأرفعها إليكم فى تقرير رسمى ..

ـ أتمنى ألا تتحول (لندن) قبلها إلى جحيم يغلى بالحمم ..

قال (ماك) محاولاً طمأنته :

ـ تستطيع أن تعود وتستكمل نومك يا سيدى ريثما ..

قاطعه (جوتمان) بعصبية لم تخل من سخرية مريرة :

ـ أستكمل نومى ؟! يالك من وغد متفائل يا (ماك) ! إننى لم أذق طعم النوم منذ البارحة ..

وتنهد بعمق ، ثم غمغم محدثًا نفسه جهرًا :

ـ صباح الأمس نعثر على قتيل فرنسى تحت شجرة من أشجار (هايد بارك) ، وفى المساء تنقلب الشوارع إلى سباق من سباقات رالى المختلين عقليًا ، ينتهى بانفجار فى شارع جانبى مظلم ، والآن هذه الكارثة وكل هؤلاء الفرنسيين !

وعاد لسخريته المريرة إذ قال :

ـ لن أندهش إذا عثرنا على جثة الملكة الأم ملقاة على درجات قصر (باكنجهام) ، أو حتى إذا انفجر القصر بمن فيه رغم أنف الحرس الملكى الأبله !

صمت (جوتمان) ، فانتهز (ماك) الفرصة ليقول بحكمة :

ـ إن (لندن) هى جنة اللجوء السياسى يا سيدى ، لذا فتعرضها للقلاقل من حين لحين ليس بالأمر المستغرب إلى هذا الحد ..

- سحقًا للجوء السياسى ..

صرخ بها (جوتمان) ثم تابع :

- الأوغاد يشرعون كما يحلو لهم تحت سقف البرلمان ، ونحن نتحمل تبعات نزواتهم السياسية اللعينة ..

- إنه قدرنا يا سيدى ..

- نعم يا (ماك) .. صدقت .. إنه قدرنا ..

كاد (ماك) يتفوه بعبارة أخرى لا قيمة لها عندما أتى صوت من خلفهما :

- مفتش (ماك) ..

استدار إلى رجل الشرطة الأقل رتبة الذى قال فى شىء من الارتباك :

- معذرة ، لكن .. هناك صحفية تلفزيونية تريد لقاء الضابط المسئول هاهنا ..

نظر (ماك) إلى البطاقة فى يد الرجل سائلاً فى عبوس :

- صحفية ؟!

- (كارلا روبرتس) - مراسلة حرة لشبكة (فى . بى . سى . نيوز) الأمريكية ..

قرأ الضابط محتويات البطاقة ، بينما سدد كل من (ماك) و(جوتمان) بصريهما إلى تلك الشابة الممتلئة بالحماس والحيوية ،ذات الشعر البنى المعقوص والملامح الباهتة الجمال ، التى تقف خارج الحزام الأمنى أمام كاميرا يحملها رجل على كتفه ، وبجوارهما فان صغيرة تحمل على جانبيها بوضوح العلامة المميزة للشبكة الإخبارية الشهيرة (فى . بى . سى نيوز) ..

ثم إن الرجلين تبادلا نظرات مفادها أن (هذا ما كان ينقصنا) ، وأشاح (جوتمان) بذراعه قائلاً وهو يتجه نحو سيارته :

- تعامل مع هذا الأمر يا (ماك) ..

الرجل الكبير يهرب من المواجهة ، فحين يتعلق الأمر بكبش للفداء ، لا مفر من أن يكون الأصغر ! هكذا فكر (ماك) بينما (جوتمان) يتابع :

ـ لكن .. ليكن تعاملك معه بحكمة من فضلك !

وعندما يممت سيارة (جوتمان) شطر الطريق الأسفلتى القريب ، دنا (ماك) من موقع الصحفية التى كانت تختم حديثها أمام الكاميرا قائلة :

ـ هذا وسنوافيكم بالتطورات أولاً فأولاً .. وهذه مراسلتكم (كارلا روبرتس) تحييكم من (ريتشموند) ـ (لندن) ..

ـ عمل جيد يا (كارلا) ..

قالها رجل الكاميرا وهو ينحيها عن كتفه ، فأجابته بثقة مازحة :

ـ إنه دومًا كذلك يا عزيزى (جيمس) ..

ووجدت نفسها فجأة أمام (ماك) الذى قال بابتسامة مهنية :

ـ مرحبًا .. أنا (ماكميلان لى جونز) .. الضابط المسئول ها هنا !

رفعت (كارلا) حاجبيها استحسانًا وهى تهتف :

ـ حقًا ؟!

ثم صافحته بحرارة وهى تقول :

ـ أنا (كارلا) .. وأود أن أعرف أشياء كثيرة منك ..

ثم إنها رفعت عقيرتها بالنداء :

ـ (جيمس) .. إلىّ بالكاميرا ..

وعادت تواجهه هاتفة بكل حماسة :

ـ أريدك أن تخبرنى بكل صراحة عما دار هنا ياسيد (ماكميلان) ..

وغمزته متابعة :

ـ وكلما كانت الأخبار تستحق .. كان تعاوننا أكثر إيجابية وإثمارًا ..

صمت (ماك) كأن على رأسه الطير ، وهو يتابع

حديثها ، مدركًا فى أعماقه أن التعامل بحكمة فى مأزق كهذا أضغاث أحلام ..

ـ والآن .. هاهى (كارلا روبرتس) تحييكم من جديد .. ومعنا الضابط المسئول عن الحادث فى (ريتشموند) المفتش (ماكميلان لى جونز) من (سكوتلانديارد) ..

سيد (ماكميلان) .. ما الذى يحدث ها هنا ؟!

... أضغاث أحلام !

* * *

شقة (بيتر ماكلويد) ـ ميدان (ترافلجار) ـ (لندن) ..

انتشر الضوء فى أنحاء الصالة الواسعة التى أثثت وزينت أركانها على الطريقة الحديثة فى فن الديكور ، وتململ (بيتر ماكلويد) فى نومته غير المريحة على أريكة ذات طابع غريب ولون أغرب ، كأنه يحلم حلمًا مزعجًا ..

نائمًا كان بملابس أمس ، وهو فقدان للوعى أكثر منه نوم فعلى بفعل الكحول الزائد أو ربما بفعل الإنهاك العصبى أو ...

ـ هه ... هه ... هه ... هه ..

صوت لهاث سريع متتابع يخترق أذنه ليضرب هدفًا ما فى بقعة مظلمة من خلاياه الرمادية ، إنه يفيق ..

ـ هه ... هه ... هه ... هه ..

إنه يفتح عينيه .. لتطالعا ـ أول ما تطالعان ـ وجه ..

ـ هه ... هه ... هه ... هه ...

إنه يعتدل فى جلسته هاتفًا فى فزع :

ـ أوه .. يا إلهى .. ما هذا ؟!

هذا الكلب من فصيلة (البولدج) يعرفه جيدًا .. ضخم هو ومرعب وعنقه محاط بطوق ذهبى مميز يحمل الحرف الأول من اسمه (T) ..



افزعته العبارة فنظر إلى مصدرها ، هناك عند البار الكائن فى ركن مميز من أركان الصالة الواسعة يجلس شخص يعرفه جيدًا ..

ـ صباح الخير يا عزيزى (ماكلويد) ..

أفزعته العبارة فنظر إلى مصدرها ، هناك عند البار الكائن فى ركن مميز من أركان الصالة الواسعة يجلس شخص يعرفه جيدًا ..

ضخم الجثة هو ، مربع الوجه ، التجاعيد والترهلات فى مناطق معينة تشى بتجاوز الستين ، يرتدى معطفًا ثمينًا وصدرية حمراء حريرية فاخرة ، ويحيط بمعصمه الأيسر سوار ذهبى ، يحمل الحرفين الأولين من اسمه الثنائى (R.P) .. يصب لنفسه كأسًا أخرى من البراندى ، ويصيح بنبرة ناعمة :

ـ أتعشم ألا يكون (تريكس) قد أفسد عليك نومك الهادئ ..

مشدوهًا هتف (بيتر) وهو يفرك عينيه المنتفختين :

ـ سيد (باور) ؟!

نظر إليه (باور) مليًا ثم قال بعد أن رشف من كأس البراندى رشفة :

ـ لم يفقدك الكحول ذاكرتك بعد ..

ثم إنه هتف بنفس النبرة الناعمة التى حملت شيئًا من الغضب الدفين :

ـ والآن .. هلا أخبرتنى بما كان يجرى دون علمى داخل أروقة مؤسستى يا (ماكلويد) الصغير ؟!

ارتبك (بيتر) وهو يتلعثم مجيبًا :

ـ مـ .. ماذا تقصد .. سيد .. (باور) ؟!

تأتأ (باور) وهو يهز رأسه الكبير يمنة ويسرة ، وقال :

ـ كلا .. كلا .. دعنا لانبدأ فى هذا يا عزيزى .

ثم إنه استطرد عندما قابل (بيتر) كلماته بالإطراق النادم :

ـ أنت تعلم يا (ماكلويد) الصغير أنك ستارى الذى أخفى خلفه نقودى ، وقد سمحت لك أن تلهو فى (ستاركوم) كما تشاء ، لكنك أردت أن تلعب لعبة أكبر منك بكثير يا صغيرى .. أليس كذلك ؟!

أجاب (بيتر) فى ضيق :

ـ بلى ..

ـ ولأنها مسألة سمعة ، فقد قررت استكمال لعبتك على طريقتى الخاصة ، حفاظًا على اسمى ، ومكانتى فى عالم الكبار ليس إلا ..

قالها (باور) ثم أردف محذرًا :

ـ وإياك ثم إياك أن تلعبها بمفردك مرة أخرى .. واضح ؟!

كطفل معاقب قال (بيتر) :

ـ آسف يا سيدى ..

ـ ولد طيب .. لحسن الحظ أن كل شىء ما زال تحت سيطرتى .. إن (روى باور) يعرف دومًا كيف يتصرف ..

ـ بالتأكيد ..

جرع (باور) كل ما تبقى فى كأسه دفعة واحدة ، ثم نهض قائلا :

ـ والآن لتأخذ حمامًا ساخنًا وتبدل ملابسك الرثـة هذه استعدادًا لحفل (خط النار ٧) أضحوكتك الجديدة .. ليس أمامك إلا ساعة واحـدة لتكون علـى أهبـة الاستعداد يا صغيرى .. هيا يا (تريكس) ..

وفرقع بإصبعيه ليعدو الكلب الضخم نحوه فى سرعة وطاعة ، بينما نهض (بيتر) من جلسته فى تخاذل وهو يقول :

ـ أجل يا سيد (باور) ..

ـ سأسبقك أنا إلى (ستاركوم) ..

قالها (روى باور) فى طريقه نحـو البـاب ، لكنـه توقف بغتة ولما يبلغه بعد والتفت إلى (بيتر) ليقول غامزًا :

ـ ولا تنس أن تعرج فى طريقك لالتقاط سكرتيرتك الحسناء (روزانا) .. إنها ستكون فاكهة الحفل كالمعتاد !

وخرج ضاحكًا ..

* * *

٢ ـ ثلاث دقائق ...

> الشحنة ما زالت فى المخزن ، لم يأت التجار لتسلمها حسب المتفق ..
>
> ماركو

مر العميد (منصور حرب) بعينيـه علـى كلمـات الرسالة الواردة إلى عنوان البريد الإلكترونى المتفـق عليـه بين إدارة المكتـب (١٧) والعميل فـى شـركة الطيران بمطار (هيثرو) ، ثم غمغم فى لهجة حملـت قدرًا رهيبًا من الوجل :

ـ إنهما لم يصلا إلى المطار إذن ..

ونقر بأصابعه زجاج سطح مكتبه وهو يتنهد متابعًا :

ـ أخشى ما أخشاه أن ..

لم يكمل عبارته إذ انبعثت إشارة صوتية ما مصاحبة لأيقونة تضيء وتنطفئ على شاشة الحاسب الآلى أمامه ، فضغط على الفور زر فأرته لتنفتح نافذة آمنة أطل منها وجه الشاب المكلف بمتابعة العملية ..

سيدى العميد !

ـ ماذا هناك ؟! أخبار جديدة ؟!

بدا وكأن الشاب يضغط أزرارًا كثيرة وهو يقول فى حماسة شابها بعض الاضطراب :

ـ شاهد هذا ياسيدى ..

قطب العميد (حرب) بينما واصل الشاب الذى أخفت نافذة أخرى انفتحت على الشاشة ملامح وجهه :

ـ إنه خبر أذاعته الـ (فى . بى . سى نيوز) منذ قليل ، أظن أن له علاقة وثيقة بما يجرى للنقيب (عمر) فى (لندن) ..

وابتلع ريقه مردفًا فى لهجة جعلت قلب العميد (حرب) يخفق بعنف :

ـ أو بما جرى !

وعبر النافذة ، شاهد العميد (حرب) بعينين أخذتا تضيقان رسالة المراسلة اللامعة (كارلا روبرتس) من (لندن) ، والكاميرا تنقل مشهد المنزل الريفى المحطم فى (ريتشموند) بفعل انفجار مجهول السبب ..

ـ رباه .. إنه المنزل الذى استأجرته (مادلين تشايمر) .. هو لاريب .. وضاقت عيناه أكثر فأكثر وهو يتابع المنظر ، مواصلاً الغمغمة الوجلة :

ـ هل يمكن أن يكون (عمر) قد ..... ؟!

مرة أخرى لم يكمل عبارته وآثر الصمت ، عندما أتى صوت الشاب من النافذة الخلفية محملاً بقدر أكبر من الاضطراب وأقل من الحماسة :

ـ العيون فى (سكوتلانديارد) تؤكد وجود عدد من الجثث ، ومصابة واحدة نقلت إلى المستشفى بسرعة ، لكن المعلومات مازالت مشوشة إلى حد بعيد ..

ضغط العميد (حرب) زر التحدث فى منياع مجاور للشاشة وتحدث فيه قائلاً :

ـ وافنى بالتطورات أولاً فأولاً مهما كانت ضئيلة وتافهة ..

ـ نعم يا سيادة العميد !

وعاد الرجل يحدق فى الشاشة محاولاً التغلب على الوساوس المعربدة فى جنبات صدره ..

ـ ترى .. هل فعلها (الداهية) ؟!

غمغم بها ثم صمت متابعًا حوار (كارلا) مع أحد رجال (سكوتلانديارد) ..

ـ سيد (ماكميلان) .. ما الذى يحدث هاهنا ؟!

ـ كما نرى .. حادث إرهابى أدى إلى انفجار أحد المنازل الريفية .. إن هذه الأشياء تحدث كما نعلم !

ـ ومن فى اعتقادك يتحمل مسئولية هذا العمل ؟! الجماعات الأصولية أم الجيش الأحمر الأيرلندى أم ..

ـ إن (لندن) هى جنة الليبرالية واللجوء السياسى، ولا أستبعد أن يكون للأمر علاقة وثيقة بهذا الأمر خاصة وأن جهة ما لم تعلن بعد عن مسئوليتها تجاه ما حدث ..

ـ سيد (ماكميلان) .. هـ ..

انبعثت إشارة صوتية أخرى وانفتحت نافذة أخرى على الشاشة حاملة وجه الشاب نفسه وعلى ملامحه ارتسمت أقصى علامات الاضطراب هذه المرة ..

ـ سيدى العميد !

ـ أخبار جديدة ؟!

ـ بل مذهلة .. أعتقد أنك لابد أن ترى هذا بنفسك ..

وطفق يضرب الأزرار بأصابعه فهتف به العميد (حرب) :

ـ أخبرنى ما الأمر ؟!

هتف الشاب بدوره لاهثًا :

- هناك طلب محادثة بالصوت والصورة أتى من (لندن) على الخط الساخن لمكتب اللواء (عفت حفنى) بنفسه !

- طلب محادثة ؟! ممن ؟!

لم يجب الشاب المضطرب ، وزادت أصابعه من سرعة ضربها الأزرار ، فصرخ فيه العميد (حرب) كعاصفة هوجاء :

- أأنت أصم ؟! أسألك ممن ؟!

واتسعت عيناه عندما تبدلت صورة الشاب داخل النافذة المفتوحة بصورة أخرى تتأرجح بين التشويش والثبات ، لكنه برغم تأرجحها عرف صاحبها جيدًا ..

- عمت صباحًا يا سيادة العميد !

الصوت أيضًا ، لا مجال لخداع بصرى ها هنا ..

- (عمر) ؟!!

ندت عنه الكلمة همسًا وهو يطالع وجهه الباسم فى إرهاق عنيف أمامه ، محاولاً إقناع عقله بالتصديق ..

- ومن يملك هذا الرأس الحليق سواى ياسيدى ؟!

سيطر العميد (حرب) على مشاعره بصعوبة ليقول :

- أنت بخير إذن أيها النقيب !

هز (عمر) رأسه الحليق بالإيجاب قائلاً فى نبرات منهكة :

- أجل ياسيدى .. لو تغاضينا عن هذا ..

ورفع معصميه المقيدين بالأساور المعدنية أمام الكاميرا الرقمية التى تنقل صورته عبر الأثير الإلكترونى ، فضم العميد (حرب) حاجبيه متسائلاً :

- ما هذا ؟!

- قيود معدنية متطورة ذات أقفال إلكترونية حديثة أملك مثلها حول قدمى أيضًا ياسيدى ..

- ماذا حدث ، نقيب (عمر) ؟!

- الكثير يا سيادة العميد .. الكثير جدًا ..

- (ودينا) .. أين هى ؟!

نظر (عمر) إلى زاوية لاتكشف عنها الكاميرا قائلاً فى لهجة أثلجت صدر أستاذه :

ـ ها هى ذى .. وهى تملك مثلى زوجًا من نفس القيود المعدنية !

لم يستطع العميد (حرب) إخفاء لهفته وهو يقول :

ـ أخبرنى بكل ما حدث فى عجالة يا (عمر) ..

امتثل (عمر)، وقص فى اختصار غير مخل ما جرى منذ هبطا ـ هو و(دينا) ـ لاستقلال سيارة إلى مطار (هيثرو)، حتى نهاية مواجهته مع (مادلين تشايمر) ..

وفور انتهائه اتسعت عينا العميد (حرب) عن آخرهما، وهو يهتف مأخوذًا :

ـ ونجوت من هذا الموقف ؟!

ـ إننى لا أحدثك من العالم الآخر ياسيدى ..

قالها (عمر) باسمًا ثم أردف :

ـ بل وأنقذت (مادلين تشايمر) من موت محقق كذلك ..

ـ وكيف هذا ؟!

تساءل العميد (حرب) بنفس اللهجة، فتبدل إرهاق (عمر) سعادة ـ كأى تلميذ ينجح فى إثارة اهتمام أستاذه ـ وهو يقول :

ـ سأخبرك يا سيادة العميد ..

★ ★ ★

(بقى أقل من ثلاث دقائق .. ماذا سأفعل ؟!)

★ ★ ★

لم يكن الوضع ليبشر إلا بكارثة محققة ..

وهلاك لا مفر منه ..

السؤال هو : هل تكفى دقائق ثلاث للنجاة من فخ محكم، خاصة حين تكون مقيدًا، ومعك امرأتان فاقدتا الوعى ؟!

وبرغم أن الإجابة بديهية تمامًا، إلا أن (عمر زهران) كان له رأى آخر ..

لقد قفز على قدميه واقفًا ، ودار بعينيه فى أرجاء الحجرة ذات الأثاث الفقير ، وتفتق ذهنه عن خطة بارعة للهرب .. سارع بوضعها فى حيز التنفيذ دون تأخر ..

ـ أ ... أ ... أين ... أنا ؟!

(دينا) بدأت تفيق .. تفتح عينيها المسبلتين رويدًا رويدًا ..

ـ رائع .. هذا أفضل مما توقعت بكثير ..

غمغم بها وهو يقفز ـ كالأرانب ! ـ نحو الشرفة المفتوحة ، ثم ..

ـ ما .. ماذا يحدث ؟!

(دينا) تتجاوز مرحلة هذيان الإفاقة ، وها هو وعيها يعود إليها دفعة واحدة فتنظر حولها مستغربة المكان ، ثم تنظر إلى (عمر) ببلاهة ..

ـ (عمر) .. أين نحن ؟!

ـ مرحبًا بك فى رائعة من روائع (٠٠٧) .....!

... ثم جذب حبل الستارة فى قوة بيديه المقيدتين ؛ لينفصل عنها حرًا طليقًا ، وبدا وكأن (عمر) يقيس طوله باستخدام عينيه !

(دينا) مازالت ذاهلة ، تنقل بصرها بينه وبين القيود حول معصميها وبين (مادلين) الفاقدة وعيها على مقعدها المتحرك وتتساءل :

ـ ماذا يجرى هاهنا ؟!

قفز (عمر) نحو الشرفة وهو يقول :

ـ أمامك عشر ثوان فقط لاستيعاب الموقف ..

وتوقف بحذاء سور الشرفة متممًا :

ـ ونصف هذا الوقت لتكونى بجوارى ها هنا ..

وبدا كأنه يقيس المسافة بين الشرفة والأرض بعينيه أيضًا ، فى حين تحاملت (دينا) على نفسها لتحاول الوقوف سائلة :

ـ ما الذى ... آه ... أتى بنا ... إلى هنا ؟!

سقطت معلنة فشل محاولتها الأولى للوقوف ، وأتاها جواب (عمر) :

ـ هناك قنبلة ستنفجر بعد دقيقتين فحسب . ولا أحب أن تكون أجسادنا من شظاياها ..

حاولت الوقوف مجددًا وقد حفزت كلمات (عمر) غدد (الأدرينالين) داخلها ، بينما أخذ (عمر) يعقد طرف الحبل فى جزء ناتئ من جدار الغرفة مغمغمًا وقلبه ينقبض وينبسط فى قوة :

ـ تبدو المسافة معقولة على كل حال .. هيا يا (عمر) ..

نجحت (دينا) فى الوقوف ، وبدأت تنظر إلى قدميها متسائلة فى حيرة :

ـ وكيف أمشى إليك ؟!

وأتاها الجواب المنطقى :

ـ اقفزى كالأرانب !

شدد (عمر) من العقدة وثبتها حتى اطمأن ، ثم قفز قفزات واسعة وسريعة نحو مقعد (مادلين) المتحرك فى طرف الحجرة الآخر شادًا من أزر (دينا) التى قطعت بصعوبة نصف المسافة نحو الشرفة :

ـ هيا يا فتاة .. لا يوجد وقت لهذا البطء ..

ـ إننى أحاول جهدى ..

قالتها (دينا) فى إعياء ، وواصلت مسعاها فى حين التقط (عمر) الحاسب الآلى النقال الساقط من حجر (مادلين) معيدًا إياه لموضعه ، ثم أدار المقعد نحو الشرفة ، وضغط زر تسيير عجلاته الكهربائية ، ثم عاد يقفز فى نشاط نحو الشرفة من جديد ..

ـ هأنذا ..

قالتها (دينا) وهى تقف بجواره أمام سور الشرفة ، فالتفت نحوها قائلاً بابتسامة لم تتناغم قط مع دقة الموقف :

ـ سيكون عليك الآن أن تقفزى من هنا ..

نظرت إلى سبابته المشيرة لأسفل ، ورفعت حاجبيها هاتفة به :

ـ أقفز ؟! هل جننت ؟!

ـ كلا .. لا أعتقد هذا ..

قالها وهو يربط الطرف الآخر من الحبل حول وسطها ، فسألته هاتفة فى ذعر :

ـ ماذا تفعل ؟!

ـ امنعينى لو استطعت ..

ـ كلا .. لن أقفز .. هذا جنون ..

أخذت تهتف بينما اعتدل هو ، ودفع بكوعه جزءًا من سور الشرفة الخشبى ، فانخلع من مكانه بفعل قوة الدفعة ، ثم إنه التفت إلى (دينا) هاتفًا بها فى حزم لا يعرف اللين :

ـ هيا .. لاوقت لهذه الطفولة .. تبقى دقيقة ونصف ..

ثم إنه جذبها من يدها مضيفًا :

ـ أو أقل !

وجدت (دينا) نفسها تسقط من عل ، فصرخت بقدر ما سمحت لها حنجرتها ، وأغلقت عينيها لا إراديًّا عندما أيقنت أن الاصطدام بالأرض وشيك ، لكن الحبل توقف بها قبل أن تصطدم بالأرض بملليمترات معدودة ..

ـ رائع .. لم تخذلنى تقديراتى ..

هتف بها (عمر) وهو يفرقع بسبابته وإبهامه برغم القيود ، ثم إنه هتف بها :

ـ هيا يا فتاة .. قفى وفكى عقدة الحبل .. بسرعة ..

وبرغم ما بها من هلع يكفى سكان الأرض ويفيض ، استعادت توازنها ووقفت على قدميها ، وسارعت بفك العقدة حول وسطها وهى تلهث باكية !

ـ هيا .. ارفعه ..

بمنتهى السرعة جذبه (عمر) ، وبمنتهى السرعة ربط الحبل حول وسط (مادلين) ، وبمنتهى السرعة ألقى بجسدها الضئيل هاتفًا بـ (دينا) :

ـ تلقفيها ..

توقف الحبل بـ (مادلين) ـ الفاقدة وعيها مازالت ـ قبل الاصطدام بالأرض كما حدث مع (دينا) ، وأسرعت الأخيرة تعدل من وضعها وتفك العقدة من حول وسطها بكل ما أوتيت من قوة وسرعة ومهارة ..

ـ هيا .. ارفع الحبل ..

كان (عمر) يلتقط الحاسب الآلى النقال بيديه ، وغمغم لنفسه إذ اعتدل :

ـ لا وقت .. بقى نصف دقيقة ..

ثم ملأ رئتيه بهواء الليل ، وأضاف :

ـ أو أقل !

وقفز فى هواء الليل ، ثانيًا ركبتيه إلى صدره برغم القيود ، ودائرًا فى الهواء كلاعبى (الأولمبياد) ، وسقط فى النهاية بجوار (دينا) التى شهقت فى رعب كاد قلبها أن يتوقف بسببه ثم صرخت به :

ـ أنت بخير ؟!

نهض على الفور قابضًا على الحاسب الآلى ، مجيبًا فى سخرية :

ـ هذه إحدى الفوائد الجمة لأن يكون المرء مقاتلاً ..

سألته وهى تدور بعينيها فى جثث الرجال الأربعة من حولها و(مادلين) المتكومة بلا حراك جوارهما :

ـ وماذا نحن فاعلان ؟!

أشار لـ (خنفساء) (عزرا أهارون) الألمانية الرابضة على مقربة منهما :

ـ سنستقل هذه للهرب !

ـ وهل هناك متسع من الوقت ؟!

ـ قبل الانفجار ؟! لا أظن ..

ثم إنه استدار آمرًا إياها :

ـ هيا .. سنحاول الابتعاد عن مرمى الانفجار قدر استطاعتنا .. هيا .. لنقفز كالأرانب !

استدارت بدورها وأخذا يقفزان ، وشعرت فجأة بذراعيه القويتين برغم القيود تطرحها أرضًا وهو يهتف :

ـ انبطحى ..

وارتميا على الأرض ، مع دوى الانفجار الرهيب ..

* * *

« إنه من أكثر الأمور التى تحيرنا يا سيدى ! »

* * *

ـ .. لم يكن استقلال السيارة سهلاً ، الوصول إليها وإدارة محركها بلا مفتاح وقيادتها على هذه الصورة ، لكنا نجحنا فى فعلها قبل وصول أى من الشهود بتوفيق من المولى (عز وجل) !

هتف العميد (حرب) مغالبًا انبهاره :

ـ فعلتها إذن فى الوقت المناسب ..

قال (عمر) كأنه يسرد قصة عادية :

ـ استغرق الأمر ربع ساعة تقريبًا للوصول إلى النقطة

الآمنة (٠١٦) ، كان منظرنا مضحكًا دون شك ونحن نقفز على درجات السلم ، لكن أحدًا لم يرنا فى هذا الوقت من الفجر لحسن الحظ ..

ـ أنت رائع بحق يا فتى ..

قالها العميد (حرب) غير مخف إعجابه ، فابتسم (عمر) قائلاً فى تواضع خجول :

ـ ليس إلى هذه الدرجة يا سيادة العميد ..

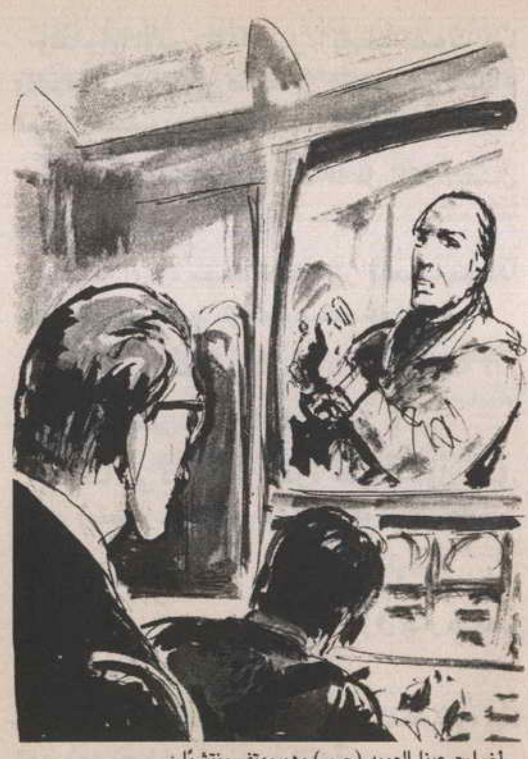
سأله الرجل وقد تذكر نقطة مهمة :

ـ وماذا عن السيارة ؟!

ـ (الخنفساء) تقصد ؟! لاتخش شيئًا ياسيدى .. لقد قام الساكن فى هذه النقطة الآمنة بقيادتها بعيدًا عن هنا ..

تنهد العميد (حرب) ثم قال وقد هدأ وجيب قلبه نوعًا :

ـ هذا جيد إلى حد بعيد !



اضاءت عينا العميد (حرب) وهو يهتف منتشيًا :
ـ هذه بسيطة .. اتركا الأمر علينا ..

قال (عمر) :

ـ الحاسب الآلى الذى يحوى المعلومات الخاصة بـ (الوحدة .. ٨٢) مازال فى حوزتى، كل مانحتاج إليه الآن هو فك القيود وخطة لمغادرة (لندن) خلال ساعات قليلة ..

أضاءت عينا العميد (حرب) وهو يهتف منتشيًا :

ـ هذه بسيطة .. اتركا الأمر علينا ..

ـ نحن فى الانتظار يا سيدى ..

ـ فى غضون ساعة على الأكثر سـ .. (عمر) .. (عمر) .. هل مازلت تسمعنى ؟!

هتف بها العميد (حرب) إذ ازدادت صورة (عمر) على الشاشة تشوشًا حتى بدت عصية على الرؤية، وكان الواضح أنه يقول شيئًا ما لكن الصوت هو الآخر جاء متقطعًا لايحمل معنى مفهومًا ..

ـ (عمر) .. (عمر) .. أتسمعنى يا فتى ؟!

ولما رأى الأمور تزداد سوءًا بغياب الصوت كليًا وتشوه الإرسال المرئى ضغط زر التحدث فى المذياع المجاور للحاسوب ، وهتف فيه محنقًا :

ـ قسم المتابعة .. ماذا يحدث ؟! هل نفقد الاتصال أم ماذا ؟!

لم يأته أى رد مجددًا فضغط زر التحدث مجددًا بعصبية أكثر وهو يزعق فيه بسخط عارم :

ـ ما الذى يحدث بحق السماء يا قسم المتابعة ؟!

ـ صباح الخير أيها (الصقر العجوز) ..

بكل ما فى داخله من قدرة على الذهول حدق العميد (منصور حرب) فى الشاشة وهو يهتف عفويًا :

ـ من ؟!

ولم يكن فى انتظار إجابة ، إنه مازال يذكر صاحب الصوت جيدًا ..

ـ لقد أشرقت الشمس لديكم فى (القاهرة) ، لذا تبدو (صباح الخير) مناسبة للغاية ..

الشعر الرمادى الكثيف ، الحاجبان الأشهبان الكثان ، العينان الضيقتان الماكرتان ، الشفتان الغليظتان وبينهما السيجار الضخم ..

لا يتمتع بكل هذه الصفات مجتمعة إلا شخص واحد ، تطل ملامحه الآن عبر الشاشة ، فى نفس النافذة التى كان وجه (عمر) يشغلها منذ لحظات ..

ـ من المؤسف أننى لن أستطيع الاستمتاع برؤية ملامحك أو سماع صوتك ، فهو اتصال ذو اتجاه واحد للأسف يا عزيزى ..

.... إلا شخص واحد يحمل لقبًا معبرًا ..

ـ منى إليك .. فقط !

.... الداهية !

* * *

٣ ـ الشريحة الإلكترونية ..

مبنى شركة (ستاركوم) ـ ميدان (بيكاديللى) ـ (لندن) ..

هبط (بيتر ماكلويد) وخلفه سكرتيرته الحسناء (روزانا) من سيارة أجرة فاخرة ، واتجها نحو البوابة الزجاجية التى انفتحت أوتوماتيكيًّا بينما هتف أحد ضابطى الحراسة المرابطين أمامها :

ـ أهلاً ، سيد (ماكلويد) ..

حيّاه (بيتر) بعصبية وشت بتعكر مزاجى دون أن ينطق ، وفور تجاوزه للبوابة اقترب منه أكبر الضباط رتبة وهو ينادى :

ـ سيد (ماكلويد) ..

ـ ما الأمر ؟!

سأل (بيتر) فى تأفف ، فأجاب الرجل من فوره :

ـ لديك زائر ..

أشاح (بيتر) بيده قائلاً فى ضجر :

ـ لا أريد أن أرى أحدًا الآن ..

تنحنح الرجل وقال :

ـ أعتقد أنه زائر مهم يا سيدى ..

وقبل أن ينطق (بيتر) بعبارة رفض أخرى عاجله مضيفًا :

ـ إنه من (سكوتلانديارد) !

أصابت الكلمة الأخيرة هدفها فى عقل (بيتر) ، وأحدثت وقعها المطلوب ، فعبس مفكرًا للحظات قبل أن يسأل بلهجة ثلجية دارى خلفها جزعه المضطرب :

ـ وأين هو ؟!

أشار الضابط الكبير إلى باب قريب مجيبًا :

ـ أدخلناه قاعة كبار الزوار !

هز (بيتر) رأسه متفهمًا ، ثم التفت إلى (روزانا) هاتفًا بنبرة جافة :

- اسبقينى أنت إلى مكتبى بالأعلى ريثما أنهى هذه المسألة ..

- نعم ، سيد (ماكلويد) ..

قالتها مدارية حنقها من أسلوبه فى التعامل ، واتجهت نحو المصاعد فى حين اتجه هو إلى الغرفة المذكورة ..

كان الطابق السفلى يشبه خلية نحل استعدادًا للمؤتمر الصحفى الخاص بـ (خط النار ٧) ، عمال الصيانة يصلحون ما أفسدته أحداث ليلة أمس ، يستبدلون بالألواح الزجاجية المهشمة ألواحًا جديدة ويصلحون التالف من قطع الديكور ويقومون بتركيب مطفأة حريق أخرى بجوار البوابة ، وعمال النظافة يحيلون الأرضية والسقف إلى كريستال لامع ، وآخرون يقومون بتعليق اللوحات واللافتات الدعائية التى تحمل وجه

(بيترماكلويد) المبتسم مع العنوان الكبير (خط النار ٧) ، وقد تم نصب منصة فى منتصف قاعة الاستقبال السفلية ، تراصت أمامها صفوف المقاعد التى سوف تزخر بالصحفيين والمهتمين والمنافسين بعد وقت قصير ..

ملأ (بيتر) عينيه بكل هذه المشاهد قبل أن يأخذ شهيقًا عميقًا ، ويقتحم الغرفة دون استئذان ..

- مرحبًا سيد (ماكلويد) ..

هتف بها الرجل الممتلئ ، الأشقر الشعر ، الأزرق العينين الصارم المحيا وهو ينهض مستقبلاً إياه ، ثم مد يده للمصافحة معرفًا نفسه :

- (كريستيان جوتمان) ، نائب رئيس شرطة (لندن) ..

صافحه (بيتر) ببرود وهو يقول :

- تفضل بالجلوس ..

جلسا ووضع (بيتر) ساقًا فوق أخرى ثم قال محاولاً أن يكسو كلماته بأردية الثقة :

ـ ما الخطب يا سيد (جوتمان) ؟!

قال (جوتمان) وشبح ابتسامة يلوح على سحنته التى يقتلها الإرهاق قتلاً :

ـ بداية ، فأنا هنا بصفة ودية تمامًا ، وفى جعبتى الكثير والكثير من علامات الاستفهام ..

ـ سل ما شئت ..

ـ كل الأسئلة تصب فى مجرى وحيد .. ما شهدته شوارع (لندن) ليلة أمس ..

عقد (بيتر) ساعديه أمام صدره وهو يقول بنفس البرود المميت :

ـ ومن قال إننى مسئول عن أمن شوارع العاصمة ؟!

اتخذت ابتسامة (جوتمان) طابعًا صفراويًا وهو يقول :

ـ الكثير من شهود العيان قالوا إنهم رأوا عددًا من السيارات التى تحمل جوانبها شعار (ستاركوم) وهى تطارد سيارة (فان) !

هز (بيتر) كتفيه قائلاً باستهانة :

ـ دعهم يحاولوا إثبات هذا ..

ـ الأدهى يا سيد (ماكلويد) ..

واتخذت ابتسامة (جوتمان) طابعًا أكثر صفراوية ..

ـ .. أننا وجدنا سيارتك الخاصة ـ طراز (بورش) سوداء اللون ـ فى موقع انفجار السيارة (الفان) المذكورة فى أحد الشوارع الجانبية ..

هنا انتفض (بيتر) صائحًا :

ـ أهو اتهام أم ماذا ؟!

هدأ (جوتمان) من روعه بقوله :

ـ قلت لك يا سيد (ماكلويد) إننى هنا بصفة ودية ..

بلغ الهياج بـ (بيتر) ذروته ، فصاح :

ـ انظر يا هذا .. إن كان لديك اتهام محدد فلترسل لى استدعاءً رسميًا بالطرق الشرعية المتعارف عليها قانونًا ، وسأحضر مع المحامى الخاص بى ، أما أن تـأتى هكذا وتلقى بالاتهامات على الأبرياء جزافًا فقد يكلفك هذا مستقبلك الوظيفى ، حتى إن كنت وزير الداخليـة نفسه .. هل تعى ما أقول ؟!

ـ مادام الأمر هكذا ..

قالها (جوتمان) مطرقًا ، ثم تابع ناهضًا :

ـ فلتسمح لى بالانصراف يا سيدى ، لكنى سأحضر بعد قليل لاصطحابك إلى مكتبى بنفسى ..

وبعد عدة خطوات قطعها نحـو البـاب توقـف برهـة ليقول متممًا :

ـ والأفضل أن تكون قد أعددت محاميك ..

وفور مغادرته سهم (بيتر) بفكره طويلاً ..

ما هذا الذى فعله ؟!

كيف يمد يده إلى جحر الأفاعى ولا يتوقع لدغها ؟!

كيف تصرف بكل هذا الحمق وكل هذا الطيش وكل هذه الرعونة ؟!

و .. هل ينتهى كل هذا على خير ؟! أم ..

انفتح المصعد فى الطابق الثلاثين حيث يقـع مكتبـه ، وبمجرد أن دلف إليه وقع بصره على (روى بـاور) جالسًا بجوار (روزانا) التى تعمل على جهاز حاسب آلى كما اعتاد أن يراها دائمًا ..

ـ هذه آخر رسالة يا سيدى ..

قالتها وهى تضغط أيقونة (إرسال) فى برنامج مـن برامج البريد الإلكترونى ، فقال (باور) مستحسنًا :

ـ رائع .. ماهرة وسريعة وحاذقة كالمعتاد يا عزيزتـى (روز) ..

ـ شكرًا يا سيدى ..

التفت (بـاور) إليـه حيث يقف عند البـاب هاتفًـا بصوته الهادئ المفعم بالنعومة :

- وها هو ذا التلميذ النجيب قد وصل .. ماذا فعلت مع الشرطة يا صغيرى ؟!

قال (بيتر) وقد اختنقت نبراته حتى أوشك على البكاء :

- افتعلت معه شجارًا ، وطلبت التحدث على أرضية رسمية ..

- أحسنت يا فتى .. وماذا أيضًا ؟!

اتجه (بيتر) نحو مكتبه متجاهلاً نبرات التهكم فى حديث (باور) ، وقال :

- لاشىء .. أنت لن تتركنى أغرق فى هذا ، سيد (باور) .. أليس كذلك ؟!

- وهل هذا بحاجة لسؤال ؟!

توقف (بيتر) بغتة عندما لمح (تريكس) يبول أسفل مكتبه ملوثًا السجادة الفخمة ، فدارى جاهدًا شعوره بالغثيان و ...

- أخبرتك أن (روى باور) يعرف دائمًا كيف يتصرف ..

ولم يعرف سبب شعوره بعدم الارتياح تجاه لهجة (باور) ..

لم يعرف !

* * *

المكتب (١٧) - إدارة المهام الخاصة - مكان ما فى قلب (القاهرة) ..

زوابع لا حصر لها ثارت فى نفس العميد (منصور حرب) ، وهو يتطلع إلى وجه (إيلى زامير) على الشاشة أمامه ..

زوابع لا حصر لها ..

- قد يبدو غريبًا يا عزيزى أن أحادثك الآن على الخط الساخن الخاص بمدير مكتبكم شخصيًا ، لكن الفضل يعود إلى الإخوة فى شارع (الملك شاؤول) الذين لعبوها بمهارة وحرفية كالمعتاد ..

سيحاول الآن اللعب على أوتار أعصابه المشدودة ..

ـ إن تلميذك الجديد بارع حقًا ، لكنه مسكين ، لا قبل له بألعاب الحواة التى درجنا على ممارستها منذ نعومة أظفارنا ، هل تذكر الأيام الخوالى يا عزيزى (منصور) ؟!

يا لها من أيام لن تعود ..

ها هو ذا من يقدر على فهم (الداهية) أكثر من (الصقر العجوز) ؟!!

ـ المسكين يتصور أن هروبه من المنزل قبل الانفجار نصرًا ، وأن القرص الصلب الذى فى حوزته يحوى المعلومات المطلوبة ، وأنه يقبع بأمان فى نقطتكم الآمنة (٠٠١٦) بعيدًا عن قبضتى التى فجرت بها المنزل ..

سيفسر الآن كل شىء ها هو ذا يلهو باستعراض عضلاته ..

ـ إنه لم يتصور أننى خلفه منذ وطئت قدماه أرض هذه المدينة ، وأننى تابعت كل شىء من نظرة طائر ، ولعلك لم تتصور أنت نفسك أن واحدًا من الرجال

الأربعة التابعين لـ (مادلين تشايمر) كان عميلاً لى ، تخلصت منه فور انتهاء تاريخ صلاحيته القصير .. إن شراء هؤلاء المرتزقة ليس صعبًا كما تعلم ..

يستعرض عضلاته باستمتاع أكبر ..

ـ كنت واثقًا أن هذه المجنونة تلعب لصالحها ، لذا فقد حرصت على زرع عين بالقرب منها ، وعندما حان الحين ، أوعزت لرجلى بزرع برنامج مزدوج فى الحاسب الآلى لرئيسته ، تكون مهمته اقتفاء أثر الحاسب فى أى بقعة من الكرة الأرضية من جهة ، ومن جهة أخرى يكون بابًا خلفيًا لنظام التشغيل الخاص بقرصه الصلب ..

لا بد أنه فى قمة نشوته الآن ..

ـ هنا حان دور الإخوة البارعين ، فقد نجحوا فى أن يستبدلوا بالمعلومات على القرص الصلب قصاصات لا قيمة لها من الصحف العبرية ، واستطاعوا تحديد مكان تلميذك ، بل وتمادوا ففكوا شفرة الخط الساخن

ونجحوا فى إبخالى بدلاً منه لأحيى صديقًا لم تتح لنا مشاغل الحياة اللقاء منذ زمن بعيد ..

أيها الوغد !

ـ حظ أفضل فى المرات القادمة يا عزيزى ، وتذكر أن الداهية سوف يظل داهية إلى الأبد ، وما من أحد سينجح فى الوقوف أمامه .. أم لعلك قد نسيت !

عنّى يا ذكريات الماضى .. عنّى !

ـ عذرًا مضطر لتركك الآن ، فلدى بريد مهم على مايبدو .. أتمنى أن أراك قريبًا أيها (الصقر العجوز) ..

كادت عظام العميد (حرب) تتفتت وهو يعتصر قبضته فى قوة ، بينما أخذت ملامح (إيلى زامير) فى التلاشى من فوق الشاشة لتحل محلها صورة (عمر) المستغرب ، وهو يقول :

ـ فيم صمتك هذا ، عميد (حرب) ؟! هل أخطأت فى شىء ما ؟!

كان (عمر) يراه إذن طوال هذه المدة !

ـ لا شىء ، نقيب (عمر) .. عليك الآن بالتخلص من هذا الحاسب الآلى وانتظار اتصال منى لأخبرك بالمستجدات ..

بدهشة هتف (عمر) :

ـ أتخلص منه ؟! والمعلومات الـ ..

بصرامة بادله العميد (حرب) الهتاف :

ـ افعل ما تؤمر ، نقيب (عمر) ..

صمت (عمر) برهة ، ثم قال فى إذعان لم يصاحبه اقتناع :

ـ حاضر يا سيدى ..

ـ هذا جيد ..

وقبل أن يتفوه أى منهما بالمزيد ، تصاعد صوت الشاب إياه من قسم المتابعة هاتفًا :

ـ عميد (حرب) ..

ضغط العميد (حرب) زر الفأرة فعلت صورة الشاب على الشاشة ..

ـ ماذا هناك ؟!

ـ هناك رسالة وردت للمكتب عبر البريد الإلكترونى العادى غير المشفر ، أحسب أنه قد يهمك الاطلاع عليها ..

ـ رسالة بشأن ماذا ؟!

ضغط الشاب أزرارًا أمامه وهو يقول :

ـ شاهد بنفسك ..

وعلت الشاشة سطور الرسالة التى التهمها العميد (حرب) بعينيه ، ودقات قلبه تعلو وتتسارع ..

هناك أمل إذن ..

أمل أخير .

ستاركوم للتقنيات الحديثة

عرض خاص ـ تمتع بالتخفيضات المهولة

شريحة إلكترونية (ذات مواصفات خاصة) من طراز (٨٢٠٠)

السعر النهائى ١٠ آلاف جنيه استرلينى بمناسبة التخفيضات السنوية ـ العرض سارٍ حتى نفاد الكمية .

ملحوظة : الوسطاء يمتنعون ولا مجال للألعاب الخطرة ..

ـ تطورات مهمة بحق ، عميد (حرب) ..

غمغم بها اللواء (عفت حفنى) وهو يطالع سطور الرسالة مجددًا فوق شاشة الحاسب الآلى ، داخل مكتبه ، وقد فرغ العميد (حرب) من سرد ما حدث على مسامعه ..

ـ وبأسرع مما نتصور يا سيادة اللواء ..

قالها العميد (حرب) محدقًا فى قدميه ، وعندما فرغ اللواء (حفنى) قال :

ـ قد تكون خدعة ..

ـ لست أميل إلى هذا الرأى يا سيدى ..

نظر إليه اللواء (حفنى) سائلاً بلهجة ذات مغزى مفهوم :

ـ وماذا تقترح ، عميد (حرب) ؟!

زفر العميد (حرب) مجيبًا ؟!

ـ أطلب الإذن باستكمال المهمة ..

ضيق اللواء (حفنى) عينيه قائلاً ، كأنه يحاول استقراء أفكار محدثه :

ـ كان رأيك بالأمس أنها لاتستحق المجازفة ..

ـ لدى سببان كافيان لتغيير رأيى يا سيدى ..

ـ وهما ..

ـ أولاً السعر مغر جدًا فى مقابل بضاعة ثمينة ، ثانيًا نسبة المخاطرة أقل لتعلق الأمر بصفقة تجارية طرفاها بائع ومشتر ..

نظر إليه اللواء (حفنى) مليًا ، فلما طال الصمت أضاف :

ـ ثم إن (عمر زهران) هناك من الأساس ، أى أننا لن نرسله من المنبع وهو ماسيوفر علينا الكثير ماديًا !

ـ فقط ، عميد (حرب) ؟!

ـ فقط يا سيدى ..

ـ ألا يتعلق الأمر بأى مسائل شخصية ؟!

فكر العميد (حرب) طويلاً قَبلَ أنْ يَجيب عن سؤال اللواء (حفنى) شبه المباشر :

ـ لا أعتقد هذا يا سيدى ..

بحسمه المعهود قال اللواء (حفنى) :

ـ وهو كذلك ، سأوافق على المهمة وأمنحك صلاحية مطلقة للتصرف فيها ..

لمعت عينا العميد (حرب) وهو يقوم متحمسًا :

ـ أشكرك يا سيدى ..

لكن اللواء (حفنى) استدرك ملوحًا بسبابته :

ـ وستتحمل كذلك المسئولية كاملة عميد (حرب) .. أنت تعلم تمام العلم أننا لانمزح فى مثل هذه الأمور ..

نهض العميد (حرب) مؤديًا التحية العسكرية ، وقال بلهجة حملت قدرًا من الغبطة لم ينجح فى إخفائه :

ـ أعلم يا سيدى ..

قال اللواء (حفنى) مسلمًا :

ـ على بركة اللّه ..

ولمعت عينا العميد (حرب) أكثر وأكثر ..

ها هو ذا فصل جديد يبدأ من صراعه مع (الداهية) ..

فصل مشتعل لو صدق حدسه !

★ ★ ★

٤ـ خطوات قادمة ..

مستشفى الطوارئ ـ (ريتشموند) ـ (لندن) ..

ـ صباح الخير أيتها الفاتنة !

حدقت موظفة الاستقبال ـ التى لم تكن على قدر وافر من الفتنة ـ فى وجه محدثها الآسيوى السحنة وهو يمضغ قطعة من اللادن فى ابتذال ، ونقلت بصرها بينه وبين رفيقيه الزنجيين ، وقد أخذت بمظهرهم الغريب قليلاً ..

ـ هل أستطيع مساعدتك ؟!

سألته فى تردد مرتبك ، كان الثلاثة يرتدون سترات جلدية سوداء وسراويل من (الجينز) الممزق ، وقد تدلى من أذن الآسيوى قرط من الماس المقلد ، بينما اخترقت أنف الزنجى الأول حلقة من الفضة ، أما الثانى فقد حلق رأسه كلية عدا ضفيرة تدلت لتغطى قذاله ..

باختصـار كان مظهرهم يوحى بخواطر غير سارة بالمرة !

- تستطيعين لو أجبت سؤالى عن مصابة الغرفة ٢٠٣ !

قالها الآسيوى بابتسامة كشفت عن صف من الأسنان الصفراء القذرة ، فأسرعت الموظفة تغض بصرها عن مرآه ، ضاغطة بعض أزرار الحاسب الآلى أمامها ..

- نعم .. الآنسة (مادلين تشايمر) ..

- تمامًا ، كنا نود الصعود إليها من فضلك ..

سألته مستغربة :

- هل لى أن أسأل عن علاقتكم بها ؟!

- بالطبع ..

أجاب الآسيوى ثم أكمل :

- نحن من ذويها ، وقد جئنا فى زيارة لها ..

- لكن الزيارة ممنوعة ، إنهـا تحت حراسة اثنين من رجال الشرطة ..

غمزها قائلاً وقد اتسعت ابتسامته :

- لا تقلقى أبدًا ..

ثم مـال نحوهـا هامسًا وهو يمرر سبابته أسفل ذقنه :

- سنجيد التعامل مع أمر بسيط كهذا .. كل ما عليك هو إرشادنا عن الطريق ..

وجمت لجرأته ، ثم هزمها خوفها الغريزى فأشـارت إلى ممر قريب وهى تقول كالمغيّبة :

- المصاعد من هنا .. الدور الثانى على اليسار ..

- أشكرك يا فاتنة ..

وأشار للرجلين من خلفه ليسيروا تجاه الممر الذى أشارت إليه ، تاركًا إياها تحاول التقاط أنفاسها بانتظام عبثًا ..

فى الدور الثانى انفتح المصعد عن ثلاثة من الممرضين - بمعاطف بيضاء وترولِلى ترقد على متنـه عقـاقير

ومعدات طبية ـ يوحى مظهرهم بخواطر غير سارة بالمرة ، وتوقف الثلاثة أمام الحجرة رقم ٢٠٣ بالذات ، والتى يحرسها اثنان من رجال اسكوتلانديارد لم يكن فى وسعهما إلا السماح لهم بالدخول !

مرت دقائق وهم بالداخل ، انفتح بعدها الباب بغتة وبرز ذو الملامح الآسيوية هاتفًا :

ـ النجدة .. المريضة ..

هتف أحد الشرطيين :

ـ ما بها ..

ـ ادخل بنفسك وسترى ..

.. ودخل الرجلان ، لكنهما لم يخرجا بعدها أبدًا ..

مرت دقائق أخرى ، ولمحت موظفة الاستقبال بالطابق الأرضى بوابة مصعد تفتح فى آخر الممر ؛ ليخرج منه الممرضون الثلاثة دافعين أمامهم سريرًا متحركًا ترقد عليه مريضة نائمة ، وكاد قلبها أن يتوقف من المفاجأة ..

حارت ماذا تفعل ، لكن غمزة من الآسيوى ـ وهم يعبرون من أمامها نحو بوابة الخروج ـ مع تمرير السبابة أسفل الذقن حسما الأمر بالنسبة لها ..

لقد هزمها خوفها الغريزى مرة أخرى ..

وهاهم قد تركوها مجددًا ، تحاول التقاط أنفاسها .. عبثًا !

* * *

النقطة الآمنة (١٦ ..) ـ (لندن) ..

ـ ماذا ؟! قصاصات من صحف عبرية ؟!

هتف بها (عمر زهران) فى استنكار ، بينما أخذت (دينا) تضرب بأصابعها الأزرار وقد جعلت القيود حول معصمها الأمر أكثر صعوبة ، ثم أجابت محدقة فى شاشة الحاسب الآلى النقال :

ـ يبدو أن هذه المرأة الفرنسية قد خدعتك !

أحنقه قولها وبرودها ، فانضغطت أسنانه بين فكيه وهو يقول حانقًا :

- قد يكون هذا ما دعا العميد (منصور) لأمرى بالتخلص من الحاسب الآلى ..

قالت بهدوء استفزه واستفزه :

- السؤال هو كيف ستتخلص منه ؟!

زفر بحرارة لاهبة ثم قال هازًا كتفيه :

- لا أدرى ، إنهم لم يدربونى على التخلص من الحواسب الآلية عديمة الفائدة ..

بمجرد إنهائه للعبارة ارتفعت دقات منغومة آتية من جهة الباب ، نظرت إليه (دينا) باستفهام فرفع سبابته أمام شفتيه آمرًا إياها بالصمت ، ونهض قافزًا بخفة نحو الباب دون أن تصدر قدماه المضمومتان قسرًا أدنى صوت .. ناظرًا عبر العين السحرية انعقد حاجباه ، وهتف بالإنجليزية :

- من ؟!

كان يرى عبر العدسة شابًا يرتدى الزِّىَّ الرسمى لعمال النظافة ، أجاب :

- نساعدك فى التخلص من الحواسب الآلية غير المرغوب فيها !

- انتظر لحظة ..

وقفز نحو (دينا) ليحمل الحاسب الآلى ، وهى تسأله :

- ألا يحتمل أن يكون فى الأمر خدعة ؟!

قال فى بسمة مشبعة :

- لقد دربونى على اتقاء مثل هذه الأمور ..

قفز نحو الباب مجددًا وفتحه بحرص ، فأسرع الشاب عامل النظافة يتناول منه الحاسب الآلى ويضعه فى برميل كبير يحمله ، ثم ناوله حاسبًا آليًا آخر وهو يقول :

- (الصقر العجوز) يحييك ..

وناوله جهازًا آخر ذا سلك طويل ملفوف حولـه متابعًا :

ـ ويوصيك بتوصيل هذا إلى الحاسب فورًا ..

مبتسمًا قال (عمر) :

ـ شكرًا يا صاح ..

ـ فى أى وقت يا رجل ..

وانغلق الباب ..

ألمح فى عينيك سؤالاً يمنعك الكبرياء من طرحه ..

قالها (عمر) عائدًا إلى مكانه وبسمة طفولية تعلو ملامحه ، فهزت (دينا) كتفيها فى عناد صامت ..

جلس وقال :

ـ هناك علامة متفق عليهـا لأتعرف عملاء المكتـب فى ظروف مختلفة ، عامل النظـافة هـذا مثـلاً كان يرتدى سوارًا من المعدن صمم خصيصًا بحيث يصعب تقليده إلى حد الاستحالة !

قالت بلا مبالاة :

ـ شاهدت أمرًا كهذا فى مسلسل قديم عن الجاسوسية ..

ـ إن الزمن يتطور يا صديقتى ..

قالها وهو يفتح الحاسب الآلى ، وأضاف مستبشرًا :

ـ والآن ..

ـ وهكذا نستطيع التحدث بأمان أكثر ، نقيب (عمر) ..

صدر الصوت المميز من الجهاز فى حين علا وجه العميد (منصـور حـرب) الشـاشـة ، فلم يدر (عمـر) أى انفعال ذلك الذى اعتلى نبراته وهو يقول :

ـ لقد كنت تعلم يا سيادة العميد أن المعلومات التى فى حوزتنا (فشنك) !

ـ أجل .. لكن هذا لايعنى بالضرورة نهاية المهمة ..

متلهفًا قال (عمر) :

ـ حقًا يا سيدى ؟!

وسألت (دينا) بلهجتها المحايدة حتى الموت :

- أيعنى هذا أننا لن نعود يا سيادة العميد ؟!

- ستعودان بعد أن تثبتا نجاحكما فى هذه المهمة يا (دينا) ..

- كلى شوق لسماع التفاصيل ..

هتف بها (عمر) فى وجد ، فقال العميد (حرب) :

- على رسلك يا عزيزى .. خطوة خطوة .. عليك أولاً أن توصل الجهاز الذى معك بالحاسب الآلى ، وأن تلصق طرفه الآخر بلوحة الأزرار فى قيودك المعدنية ..

أمسكت (دينا) بالجهاز بين أصابعها متسائلة باهتمام :

- أهو جهاز حديث لفك الشفرة ؟!

ابتسم العميد (حرب) مجيبًا :

- شىء من هذا القبيل .. تستطيعين أن تطلقى عليه

(وسيطًا أثيريًا) بين القيود حول معصمك ، وبين آلة علاقة مكونة من عدة شبكات حاسوبية مطعمة بأحدث أجهزة الذكاء الاصطناعى ، مهمتها تجربة عدد لانهائى من الشفرات واستنتاج أقربها عبر عمليات رياضية معقدة ، وبسرعة ٢٠٠ ألف رمز فى الثانية الواحدة .. هذه الآلة موجودة فى أحدث معامل الذكاء الاصطناعى فى (طوكيو) ونستخدمها فى إطار اتفاقية للتعاون بيننا و(اليابان) .. أعتقد أنها فرصة طيبة للغاية لاختبار فاعليتها ..

فى أثناء حديثه انتهت (دينا) من توصيل طرفى الجهاز بالحاسوب ولوحة الأزرار ، وبعد أن انتهى صفر (عمر) فى إعجاب ثم هتف جذلاً :

- طوبى للقرن الحادى والعشرين !

- إن الجهاز يعمل الآن ، وحتى تثبت فاعليته دعونا نبدأ فى التفاصيل ..

قالها العميد (حرب) وهو يحدق فى شاشات مجاورة ، فهتف (عمر) بجذل أكبر :

- هذا هو المهم ..



فى أثناء حديثه انتهت (دينا) من توصيل طرفى الجهاز بالحاسوب ولوحة الأزرار ..

علت الشاشة صورة (٣ ب) لرجل مربع الوجـه ، تشى التجاعيد والترهلات فى مناطق معينة منه بتجاوزه الستين ، مع سؤال العميد (حرب) :

ـ هل تعرف صاحب هذه الصورة ، نقيب (عمر) ؟!

حدق فيها (عمر) باهتمام حل محل الجنل ، واعتصر ذهنه اعتصارًا ثم قال :

ـ (روى باور) ، من أشهر وجوه الملف الأسود !

ـ تمامًا ، ولعل (دينا) لاتعلم أنه الملف الذى تحتفظ به أجهزة الأمن العالمية والذى يحوى سجلات أكثر الشخصيات شهرة وخطورة فى العالم ، ولعلها أيضًا لاتعلم أن (روى باور) هو واحد من أباطرة المال الدوليين الذين تتجاوز ثرواتهم حاجز الأصفار التسعة ، وأنه يستثمر ثروته فى كل شىء بدءًا من الزراعة والغذاء وحتى التكنولوجيا وشركات (الدوت كوم) ، ولعلك لاتعلم أن (باور) هو الممول الرئيسى من الباطن لمؤسسة (ستاركوم) للتقنيات ..

هز (عمر) رأسه متفهمًا وهو يغمغم :

ـ هكذا !

ـ أنت تعلم ، نقيب (عمر) ، أن (روى باور) ليس اسمًا نظيفًا ، وأن الشبهات العالقة به حول عمله فى المخدرات والسلاح وتجارة الرقيق الأبيض ينقصها أدلة دامغة صعب توافرها فى هذا العالم المعقد ، خاصة وهو يغسل أمواله من أرباح التجارة غير المشروعة فى مياه الاستثمارات الدولية المفيدة ، وقد أفادت المعلومات الواردة إلينا أنه وصل إلى (لندن) صباح اليوم قبل الفجر فى طائرة خاصة ، وفى تمام السابعة والنصف صباحًا هبطت به طائرة مروحية خاصة فوق سطح مبنى (ستاركوم) فى (بيكاديللى) ، وهو مازال هناك حتى الآن ..

ثم تغيرت الصورة بأخرى ثنائية الأبعاد لزوج وزوجته فى مناسبة سعيدة ، فقال (عمر) فى لهجة ما بين الجد والهزل :

ـ لاتخبرنى أن هذا هو (فيليب ألبير) !

ـ هو بعينه ..

واقتربت زوجته أكثر فى حركة (زووم) من منتصف الشاشة ، و(الصقر العجوز) يتابع :

ـ وهذه زوجته (آن) ، لقد حضرت معه إلى (لندن) واختفت عن الأنظار حتى أفزعها مصرع زوجها صباح الأمس ، فتنقلت بين فنادق العاصمة على غير هدى حتى عثر عليها رجال (روى باور) المنتشرون فى (لندن) كجيوش النمل ..

وعادت صورة العميد (حرب) تعلو الشاشة وهو يتابع :

ـ يبدو أن (روى باور) لم يكن يعلم بأمر اللعبة التى يلعبها (بيتر ماكلويد) لصالح نفسه ، وفور علمه خشى أن يلحق باسمه العار فى عالم الدنس الذى ينتمى إليه ، فآثر أن يستكمل اللعبة على طريقته ، بعد عثوره على (آن) ، استضافها فى شقة خاصة من عقاراته ، وابتاع منها الشريحة الإلكترونية

الأصلية التى هربت بها ، وعرضها للبيع فى رسالة إلكترونية بعث بها إلينا وإلى الإسرائيليين كذلك على ما أعتقد ، وبالتحديد إلى (إيلى زامير) .. (الداهية) ..

تساءل (عمر) بدهشة :

ـ الشريحة الأصلية ؟! مرة أخرى ؟!

تنهد العميد (حرب) قائلاً :

ـ أجل يا (عمر) .. وستكون مهمتكما العودة بها بعد إتمام الصفقة مع (باور) ، فى (ستاركوم) ، بعد ساعتين فقط ..

أصدرت القيود المعدنية حول معصمى (عمر) تكة خافتة ، أعقبها انفتاحها فى سلاسة عجيبة ، مما دعا (عمر) إلى الهتاف :

ـ يا إلهى .. لقد نجحت الطريقة !

وتمتمت (دينا) :

ـ بارعون حقًا هؤلاء اليابانيون !

ـ هذا أكثر من ممتاز ..

قالها العميد (حرب) فى رضا ثم تابع بكل رصانة :

ـ ستكرران المسألة مع القيود الثلاث الباقية ، وبعدها ستهبطان لتجدا سيارة (فورد) حمراء بانتظاركما وبداخلها المفاتيح لتنقلكما إلى نقطة آمنة أخرى ..

سأل (عمر) متوجسًا :

ـ هل انكشف أمر هذه النقطة يا سيدى ؟!

أخذ العميد (حرب) نفسًا عميقًا ملأ به صدره قبل أن يقول :

ـ هذا هو السبب الرئيسى للتخلص من الحاسب الآلى يا نقيب (عمر) ، ولتضع فى حسبانك أنك تلعب مع داهية حقيقى ، قد لا تستطيع أبدًا توقع خطوته القادمة ..

سألت (دينا) :

ـ ماذا عن خطوتنا نحن ، عميد (حرب) ؟! كيف

سندخل إلى (ستاركوم) وكيف سنقابل (روى باور) هذا ؟!

تألقت عينا العميد (حرب) وهو يجيبها قائلاً :

ـ هذا هو أفضل وأصعب جزء فى الخطة كلها ..

.. ثم أردف :

ـ وأكثرها دهاءً !

* * *

مستشفى الطوارئ ـ (ريتشموند) ـ (لندن) ..

ـ مقتل اثنين من رجال الشرطة واختطاف الشاهدة الوحيدة لحادث انفجار فجر أمس ..

قالها (كريستيان جوتمان) وهو يغادر الحجرة (٢٠٣)، وأردف بمرارة :

ـ رائع حقًا ما يحدث فى منطقتك ، مفتش (ماك) ..

قال (ماك) بضيق وهو يغادر الحجرة فى إثره :

ـ كل ما يحدث يبدو غير طبيعى يا سيدى .. ليس فى منطقتى فقط وإنما فى أنحاء العاصمة كلها ..

تنهد (جوتمان) ثم قال شاخصًا ببصره إلى المجهول :

ـ صدقت .. إن هذا قد يكلفنا مناصبنا لو استمرت الأحوال فى السير على نفس الوتيرة اللاهثة ..

سأل (ماك) وقد بلغا ركن المصاعد :

ـ وماذا سنفعل يا سيدى ؟!

ـ لا أدرى ، مفتش (ماك) ..

وانفتح المصعد بينما (جوتمان) يتابع :

ـ لكنى أشعر أن جزءًا كبيرًا من تفسير كل هذا الذى يحدث يقبع هناك فى ميدان (بيكاديللى)، خلف جدران (ستاركوم) للتقنيات ..

ومع انغلاق المصعد أكمل (جوتمان) :

ـ إن خطوتنا القادمة يجب أن تبدأ من هناك ..

* * *

شقة رقم (٤٥) ـ شارع (ريجنت) ـ (لندن) ..

ـ مرحى يا عزيزى .. لقد أفقت إذن ..

هتف بها (إيلى زامير) وهو يلف إلى الحجرة التى تحوى سريرًا وحيدًا ، استقر فوقه (عزرا أهارون) بوجه سوّده الاكفهرار ..

اعتدل (عزرا) من نومته ، وغالب الصداع الذى يفترس رأسه بلارحمة وهو يقول كاسيًا صوته بنوع من الثبات :

ـ سيدى ..

استند (الداهية) بمرفقيه إلى مؤخرة السرير المعدنية ، وقال :

ـ لقد خيبت ظنى مجددًا أيها التلميذ النجيب .. سابقًا ..

هتف (عزرا) بلهجة هجومية :

ـ ليس خطئى هذه المرة ، أدون (زامير) .. هل عرف الإخوة فى شارع الملك (شاعول) أن الخبير التكنولوجى الذى اختاروه لى خائن ؟!

قال (إيلى) كأنه يؤنب طفلاً بليدًا :

ـ ما كان يجب أن يخدعك هذا من البداية ..

ولما صمت (عزرا) ساخطًا ، أضاف :

ـ كان عليك أن تتخذ احتياطاتك لكل الظروف الممكنة ، هذا ما جاهدت كى أعلمك إياه عبر سنين خلت ..

قال (عزرا) بصوت أقرب للزمجرة :

ـ كنت أشعر بنية الغدر من قبل أن تبدأ المهمة ، لكن .. ماذا كان بوسعى أن أفعل وأنا ملتزم بأداء خطة محددة ؟!!

ـ الكثير ..

قالها (زامير) ملوحًا بسبابته ..

ـ كان بوسعك فعل الكثير ..

ثم إنه استطرد :

ـ لعلك لاتعلم بكل ما طرأ من مستجدات على ساحة العملية ، لكن الخلاصة أن الأمر لم ينته بعد .. لقد ظهر عرض ببيع الشريحة الإلكترونية عبر (ستاركوم) عن

طريق حوت الاقتصاد الدولى (روى بـاور)، وفى الغالب أن هذا العرض قد وصل إلى المصريين ..

أراد (عزرا) أن يقول شيئًا لكنه أحجم فى اللحظة الأخيرة ، مما جعل (زامير) يبتسم وهو يقول :

ـ وهى فرصتك الأخيرة لتعويض كل ما فاتك يا عزيزى ..

ـ سأعود بها ياسيدى .. أعدك بهذا ..

هتف بها (عزرا) كالغريق الذى يتشبث بطوق نجاة ، فعاد (زامير) يلوح بسبابته قائلاً :

ـ لامجال للوعود يافتى .. فمن جديد سوف تنفذ ماتؤمر به فقط ..

واتسعت ابتسامته الصفراء إذ تابع :

ـ وأنا الذى سوف أضع الخطة هذه المرة ..

قال (عزرا) بإذعان :

ـ نعم ، أدون (زامير) ..

استحال وجه (زامير) إلى وجه ثعلب حقيقى وهو يقول :

ـ سنلجأ هذه المرة لأكثر الطرق مباشرة ..

سأل (عزرا) مداريًا امتعاضه :

ـ التفاوض بوجوه عارية من جديد ؟!

لوح (زامير) بسبابته يمنة ويسرة فى الهواء ، ثم قال :

ـ بل القوة .. القوة الصريحة ..

التمعت عينا (عزرا) وهو يهتف منبهرًا :

ـ القوة ؟!

ـ أجل .. إنها كلمة تحمل فى طياتها كل المهارة ..

وأردف بعد هنيهة صمت :

ـ وكل الدهاء ..

.. وانطلق يشرح لـ (عزرا) تفاصيل خطوته القادمة ..

* * *

٥ ـ اقتحام مسلّح ..

مبنى شركة (ستاركوم) ـ ميدان (بيكاديللى) ـ (لندن) ..

فى فرجة ضيقة بين سيارتين ، على الطوار المقابل لبوابة (ستاركوم) للتقنيات ، توقفت العربة التى تحمل على جانبها شعار محطة (فى . بى . سى نيوز) ..

وبداخل السيارة رمقت عينا المذيعة الشهيرة (كارلا روبرتس) الارتفاع الشاهق لمبنى المؤسسة ، ثم التفتت إلى سائق السيارة الذى تجلس بجواره دون أن تنطق فى حين ابتسم هو قائلاً (بالعربية !) :

ـ يزداد إعجابى ببراعة رجال قسم التنكر لدينا يومًا بعد يوم ..

لم يكن سوى (عمر زهران) ، ولم تكن سوى (دينا واصف) بقناع مطاطى مصنوع بمهارة فوق

وجهها ، أخذت تتفحصه مليًّا عبر مرآة السيارة الجانبية قبل أن تسأل فى وجل :

ـ تظن هذا حقًّا ؟!

قال مشجعًا :

ـ وكأنى أرى (كارلا روبرتس) أمامى ، تصورى أن يصنعوه ويرسلوه لنا مع خبير تجميل عالمى فى هذا الوقت القياسى ..

ـ دهشتى الأكبر فى قبول نجمة إعلامية بحجم (كارلا) لأن تتنازل عن دورها لنا هاهنا ..

مط شفتيه ثم قال ممتعضًا :

ـ هؤلاء القوم يصنعون أى شىء فى مقابل النقود ، ثم إنها لم تتوقع أحداثًا خارقة للعادة هاهنا فتنازلت عن طيب خاطر ..

غمغمت ولما تتغلب على سوداوية مشاعرها بعد :

ـ سيفوتها الكثير بلاريب ..

قال (عمر) باسمًا :

ـ أعتقد أن ملامحى هكذا أفضل من أى تنكر .. أليس كذلك ؟!

نظرت إليه متعجبة من قدرته على المزاح فى هذه الظروف ، غير أنه واصل فى مرح :

ـ كيف تتصورين أن يتعرف علىّ (روى باور) فى الزحام وقد أرسلوا له بصورتى الممعنة فى الوسامة ؟!

تنهدت متمتمة :

ـ أتمنى أن أغمض عينى وأفتحها لأجد كل هذا قد انتهى ..

هز كتفيه ، ثم التقط الكاميرا من جوار مقعد القيادة وهو يسألها :

ـ ولم ؟! ألم يراودك حلم كل فتاة بالعمل كمذيعة ؟!

قالت وهى تفتح الباب استعدادًا للنزول :

ـ كلا .. ولا أظن أن لدى الشجاعة لفعلها ..

قال وهو يهبط من جهته :

ـ لا أظنك تتمتعين بخيارات بديلة .. هيا ؛ لنرى كيف ستبدين كمذيعة شهيرة ..

وسارا نحو البوابة التى مال الضابط الواقف أمامها على زميله هامسًا :

ـ انظر .. إنها (كارلا روبرتس) .. مذيعتى المفضلة !

هتف زميله وهو يحدق فيها مبهورًا :

ـ حقًا ؟! هل ستنقل وقائع المؤتمر بنفسها ؟!

ـ يبدو هذا ..

ومع اقتراب (عمر) و(دينا) ، دنا الضابط الأول من الأخيرة هاتفًا فى ود :

ـ من فضلك يا مس (كارلا) .. هل لى بتوقيعك على ..

وأخرج من جيبه دفترًا ملونًا ..

ـ .. أوتوجرافى المتواضع !

بهتت (دينا) وتجمدت ملامح (كارلا) المطاطية فوق وجهها ، فأسرع (عمر) بتدارك الأمر قائلاً وهو يمد لها يده بقلم :

ـ وقعى له يا عزيزتى .. إنها ضريبة الشهرة كما تعلمين ..

ومال نحو الضابط هامسًا :

ـ عذرًا فهى مرهقة للغاية ، إننا نعمل بلا توقف منذ فجر الأمس ..

هز الضابط رأسه فى قوة وقال :

ـ نعم .. نعم .. أرى هذا ..

وبعد أن مهرت (دينا) الأتوجراف بخطوط لامعنى لها ، دخلا مبنى (ستاركوم) ..

وغابا فى الزحام !

* * *

مر وقت ، وبدأ المؤتمر الصحفى ..

اتخذ كل الحضور مقاعدهم ، وانتقى (عمر) و(دينا) مقعدين فى الصف الأخير ، ثم ساد الصمت ، واعتلت (روزانا) ـ السكرتيرة الحسناء ـ المنصة ..

ـ السادة الحضور ، أرحب بكم باسم كل العاملين ، ويسرنى أن أقدم لكم نجم تقنية المعلومات وحماية فضاء السايبر .. السيد (بيتر ماكلويد) ..

تصفيق ، واعتلى (ماكلويد) المنصة فى حين هبطت منها (روز) متجهة إلى منضدة عالية مغطاة بستار حريرى داكن ، وتبعد مسافة خطوات عن المنصة ..

ـ سيداتى وسادتى ..

تكلم (ماكلويد) راسمًا فوق شفتيه بسمة مصطنعة ، لم تنجح فى إخفاء الاكفهرار والضيق الذى يكلل ملامحه الأنجلوساكسونية ، بالإضافة إلى الإرهاق المتجلى فى عينيه المحمرتين ..

ـ بدون مقدمات طويلة ، فلابد أنكم تعرفون لماذا أنتم هنا ..

ضحك خافت ، يبدو أنه متحدث بارع ينجح فى إخفاء

انطباعات الجمهور السيئة عنه ، هذا ما تداعى إلى رأس (عمر) المنهمك فى التصوير كأى محترف ، أما (دينا) فما زالت تبسمل وتحوقل وتدعو اللّه أن ينتهى هذا الكابوس سريعًا ..

ـ أقدم لكم أحدث إبداعات عالم (ستاركوم) ..

وأشار بكفه نحو المنضدة المغطاة ..

ـ خط النار (٧) ..

نزعت (روز) الغطاء بمجرد فراغه من [illegible] ؛ ليتبدى أسفلها جهاز النسخة التجريبية مع لافتة إعلانية تحمل وجه (ماكلويد) الباسم كاشفًا عن صفين من الأسنان اللامعة !

وعندما بدأ (ماكلويد) فى الحديث عن مميزات النظام الدفاعى الجديد ، وإيجابياته الهائلة فى صد أى عدوان إلكترونى ، لم يتمالك (عمر) نفسه ، وابتسم فى سخرية قبل أن يتمتم بلا صوت :

ـ تجربة الأمس غير شاهد على صدق ما تدعى !

وانطلق (ماكلويد) يتحدث .. ويتحدث .. ويتحدث ..

و(عمر) يصور .. ويصور .. ويصور ..

حتى ..

شعر بكف غليظة تلامس كتفه من الخلف ..

ـ أنت ..

الصوت برغم خفوته أغلظ من ملمس الكف ، تركت عينا (عمر) كادر الكاميرا الضيق ليستدير إلى الخلف ، فرأى عملاقًا مفتول العضلات يرتدى السواد ـ هو صاحب الصوت كما يسهل الاستنتاج ـ تنم ملامحه عن شر مستطير ، وبجواره آخر رفيع وقصير ذو أنف طويل يشبه (بينوكيو) عندما يكذب !

ـ أنا ؟!

سألهما (عمر) وهو يبتسم من تناقض مظهريهما ، فأجابه القصير الرفيع بصوت يليق بهيئته :

ـ أجل ، تعال معنا بسرعة ، وبلا ضوضاء ..

هز رأســه أن (نعم) وقد اتسعت ابتسامته ، ثم ناول الكاميرا لـ (دينا) هامسًا فى أذنها :

ـ ابقى هنا ، وسأرافق أنا (لوريل) و(هــاردى) هذين !

وأضاف قبل أن يصحبهما :

ـ لن أغيب طويلاً ..

وسار معهما نحو المصاعد ، وحين اختفى الثلاثة خلف بوابة إحداها ، سقط قلب (دينا) فى قدميها ..

ها هى الآن وحيدةً فى مهب الريح ، وشعور قوى يدهمها بقرب حدوث كارثة ..

ونظرت نحو بوابة المبنى ..

ثم ابتلعت ريقها ..

★ ★ ★

فور دخوله غرفة مكتب (ماكلويد) ـ فى الطـابق الثلاثين ـ سمع (عمر) صوتًا يدوى كطلقة رصاص :

ـ أنت إذن سفير المصريين ..

.. ثم رأى (روى باور) جالسًا خلف المكتب ، مشهرًا قدميه فى وجهه ، وبين أصابعه يستقر كأس من النبيذ الأحمر ..

ـ وأنت إذن (روى باور) ..

قالها (عمر) محدقًا فى ملامحه التى سحقتها الكهولة ولم تفنها الصلابــة ، فابتســم (بــاور) هاتفًـا فـى خيلاء :

ـ مشهور أنا إلى هذا الحد ؟!

ـ ومن يجهل واحدًا من أشـهر أكلة لحــوم البشر المعدودين فى العالم ..

ضحك (باور) فى وحشية و(عمر) يتابع :

ـ إن دماء ضحاياك عبر قارات العالم الخمس تلوث أصابع يديك المكتنزة !

أطلق (باور) ضحكة أخرى قبل أن يقول :

- يالك من جرىء يا فتى .. يبدو لى أنك من كنت وراء كل الخسائر ، التى تكبدها الجميع منذ أمس ..

صمت (عمر) محدقًا فيه أكثر وأكثر حتى كاد يفترسه بعينيه ، فقال الرجل بسعادة غامرة :

- الحياة تفرض علينا الأدوار التى نلعبها ياصغيرى .. لابد دومًا من ضحية وجلاد .. صقور وحمائم .. أبرياء وقتلة .. من اختار أن يكون الضحية ليلوم من يلعب دوره جيدًا كجلاد ؟!

قال (عمر) دون أن يتبدى انفعال ما على قسماته الثابتة :

- هكذا إذن تبررون لأنفسكم ما تقترفونه فى حق البشرية من آثام ..

- أنا لا أبرر .. الفلسفة تفعل ذلك جيدًا ..

- لندع الفلسفة جانبًا الآن ولننه ما نحن بصدد إنهائه سريعًا ..

اعتدل (باور) فى جلسته ، ورشف من كأسه ثم قال :

- يعجبنى إيقاع العمل السريع - فهو أوفر للجهد والمال ..

ثم أخرج من درج المكتب جسمًا صغيرًا أمسكه بأنامله متابعًا :

- هذه بضاعتك .. أين النقود ؟!

حدق (عمر) فى الشريحة الإلكترونية مليًا ، لم ير فيها علامة مميزة تدله على كونها ضالته المنشودة فأغلب هذه الأجسام المنمنمة تتشابه ، ولما طال صمته دق (باور) بقبضته على سطح المكتب هاتفًا فى ملل :

- هل ستحدق فيها ببلاهة هكذا طوال اليوم ؟!

قال (عمر) حاسمًا موقفه :

- لابد من أن أتأكد أولاً ..

- تتأكد ؟!

هتف بها (باور) مستنكرًا ، ثم أردف واستنكاره يتزايد :

- تتأكد من ماذا ؟!

- من أنها تحوى المعلومات المطلوبة ..

ضحك (باور) طويلاً قبل أن يقول :

- ماذا أخبروك عنى يافتى ؟! سمسار (إنترنت) ؟!

هزّ (عمر) كتفيه قائلاً فى ثبات :

- لن يضيرك أن أرى ما تحويه الشريحة أولاً ..

انقلبت سحنة (باور) فجأة إلى مايشبه الشيطان وهو يزمجر كالثور قائلاً :

- اسمع أيها التافه الأحمق الصغير .. إذا صور لك غرورك أنك ندلى لمجرد أنك تقف أمامى الآن وتحدثنى برباطة جأش سانجة فأنت واهم .. إننى (روى باور) .. إمبراطور الاقتصاد العالمى ..

ولهث قليلاً قبل أن يقول مواصلاً بنفس النبرة الخشنة :

- إننى لم أدخل هذه اللعبة إلا مختارًا .. للمحافظة على

هيبتى فى نادى الكبار ، وكنوع من التسلية التى أهواها .. ولو صورت لكم أخيلتكم المريضة أننى أفعل ذلك لحاجتى إلى نقودكم ، التى هى قطرات فى محيطات بلايينى ، فالمصحات النفسية أليق بكم ، وأرحب لكم !

واصل (عمر) جدله بنفس الثبات :

- وهل أشترى سمكًا فى ماء ؟!

- لن تشترى شيئًا ..

وأعاد (باور) الشريحة إلى مكانها الأول وهو يتابع فى حسم :

- لقد عدلت عن رأيى ، وسأمنحها لخصومكم بنصف السعر المتفق عليه !

ساد صمت نارى ، قطعه (عمر) فى النهاية سائلاً :

- أهذا آخر ما لديك ؟!

عاد (باور) يشهر قدميه فى وجهه قائلاً وهو يستعيد هدوءه وصفاءه :

- فى عالمنا يا فتى .. الاتفاق اتفاق .. والكلمة واحدة ..

ثم إنه أشار لرجليه ..

- سعدت بلقائك .. اصحباه إلى الخارج ..

- أتعلم شيئًا يا سيد (باور) ؟!

قالها (عمر) وهو يتحفز لعمل ما ..

- ماذا ؟!

الرجلان يقتربان منه ..

- أستطيع سحق رجليك هذين ..

والتفت إليهما ..

- .. فى لمح البصر !

* * *

فى فرجة ضيقة أخرى بين سيارتين ، توقفت عربة (ميكروباص) بطريقة نمت بوضوح عن رعونة قائدها ،

وهبط منها عدد من الرجال اللابسين معاطف طويلة وثقيلة ، كان آخرهم رجلاً نعرفه برغم المنظار الشمسى الذى يخفى عينيه الحادتين ..

(عزرا أهارون) ..

نظر فى ساعته ، ثم تقدم الرجال ذوى الوجوه غير المريحة إلى بوابة (ستاركوم) إلى أن اعترضهم ضابطا الأمن إياهما ..

- لحظة يا سادة .. إلى أين ؟!

أشار (عزرا) للداخل وقال نفس الكلمة :

- إلى الداخل !

قال الضابط الآخر :

- لكن دخول الجماهير ممنوع اليوم .. إن هناك مؤتمرًا صحفيًا مهمًا و ...

قاطعه (عزرا) فى صرامة أسكتته :

- لكننا نحمل تصاريح دخول ..

مد الضابط الأول كفه هاتفًا :

ـ هلا أريتنى إياها من فضلك ..

انعكست صورة كفه الممدودة على زجاج نظارة (عزرا) الداكن وهو يقول من بين أسنانه ، قابضًا على المسدس المستقر فى جيبه :

ـ ليكن .. أنت أردت هذا ..

وبسرعة استل الرجال ـ فى وقت واحد ـ مدافع رشاشة من الجيوب الداخلية لمعاطفهم الثقيلة الطويلة ..

وبسرعة انطلق وابل من الرصاصات اخترق جسدى الحارسين بلا رحمة ، فتهاويا غارقين فى الدماء ، ولما يستمتع أحدهما بعد بتوقيع نجمته الإعلامية المفضلة فى أوتوجرافه الخاص ..

وبسرعة تهشم زجاج البوابة الجديد بفعل الرصاصات ، واقتحم الرجال (ستاركوم) وسط صيحات الحاضرين فى المؤتمر ، وصرخات النساء ، والهرج والمرج اللذين سادا ...

وبسرعة انتشر الرجال بمدافعهم فى أنحاء الطابق

الأرضى ، بينما قفز (ماكلويد) من فوق المنصة إلى خلف جدار قريب وجواره (روزانا) التى ارتعدت فرائصها رعبًا ..

ـ لا تطلقوا النار حتى أعود .. مفهوم ..

وبسرعة ركض (عزرا) نحو المصاعد مستقلاً أحدها إلى الطابق الأخير .. وفى ركن منزوٍ من الطابق الأرضى ، وتحت سطح منضدة رخامية كبيرة ، سأل موظف زميله هامسًا :

ـ متى ستأتى الشرطة فى رأيك ؟!

أجابه زميله بنفس الهمس :

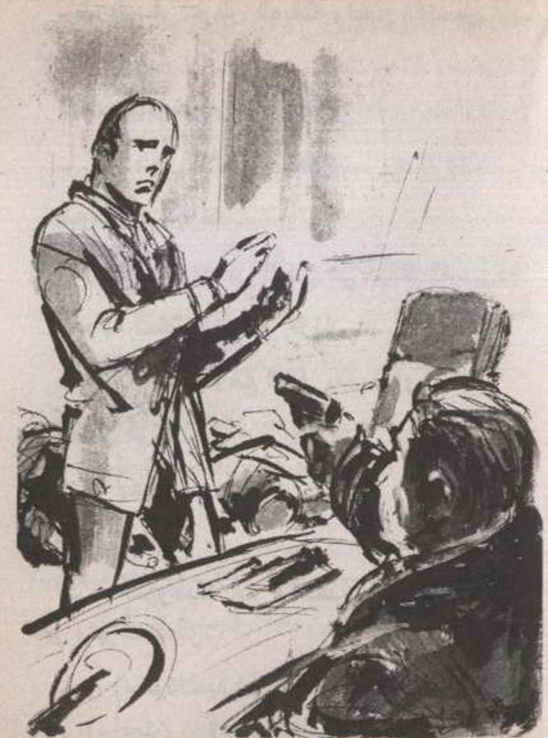
ـ بعد أقل من دقيقتين ..

وأشار إلى زر مختف أسفل المنضدة :

ـ لقد ضغطت زر الإنذار منذ دقيقة تقريبًا !

... أما (دينا) فقد شعرت بقلبها يكاد يتوقف رعبًا ، من مكمنها خلف عمود ضخم من الجرانيت !

* * *



واستدار (عمر) نافضًا كفيه بعد هذه المعركة القصيرة إلى (باور) متوقعًا إياه .. مفغور الفاه مشلول الحركة .. لكن ..

استغرق الأمر فترة طالت قليلاً عما سماه (عمر) بـ (لمح البصر) ..

القصير الرفيع كفته ركلة فى أنف (بينوكيو) ليسقط منكفئًا على وجهه فى غياب تام عن الوعى ..

لكن العملاق تطلب المزيد من الجهود ..

لكمة فى الوجه ..

ثم فى البطن ..

ثم ركلة مزدوجة جعلته يدور حول نفسه ..

ثم ضربة قاضية بالقبضتين على أم الرأس خر بعدها كجلمود صخر حطه السيل من عل ..

واستدار (عمر) نافضًا كفيه بعد هذه المعركة القصيرة إلى (باور) متوقعًا إياه .. مفغور الفاه مشلول الحركة .. لكن ..

طاشت توقعاته ..

ووجد أمام عينيه فوهة مسدس، يقبض عليه (باور) فى إحكام ..

ـ شرطى فى عرض الصفقة واضح كالشمس أيها الصبى ..

لهاث متبادل ..

ـ ... لامجال للألعاب الخطرة ..

صوت جذب الزناد ..

ـ ... خذ هذا الدرس الأخير فى حياتك القصيرة ..

السبابة المكتنزة تعتصر الزناد ..

ـ ... لاتعبث أبدًا مع الكبار ياصغيرى ..

تعتصر الزناد ..

ـ ... أبدًا ..

و ...

هدرت المروحيات خارج النافذة مع ارتفاع صياح عبر مكبرات الصوت :

ـ من (سكوتلانديارد) للمختطفين .. سلموا المبنى بأسرع مايمكن .. القوات تحاصر المبنى بأكمله ..

انعقد حاجبا (باور) وهو يلتفت لنافذة المكتب العريضة ، التى كشفت الطائرتين الحاملتين لشعار (سكوتلانديارد) فى وضوح ، وتمتم مذهولاً :

ـ ماذا ؟! هل احتلوا الـ ....

وصمت لسانه مع إظلام عينيه ، وخر فاقد الوعى إثر لكمة موجهة لمؤخرة رأسه ، وبسرعة بدأ (عمر) فى التحرك ..

ـ تُرى ؟! أهى حيلة من حيل (الداهية) ؟!

غمغم وهو يقبض على الشريحة الإلكترونية داخل درج المكتب ، وهرع نحو باب المكتب مضيفًا :

ـ سنرى ..

ولم ينس التقاط مسدس (باور) قبل أن يغادر المكتب ، وقطع الممر القصير بين بابه والمصعد فى ثوان ..

ـ إنه مازال هنا .. رائع ..

قالها وهو يرمق لافتة المصعد الضوئية التى أشارت

لوجوده فى الطابق الثلاثين ، وبمجرد انفتاح المصعد ، وجم للحظة ، ثم سارع برفع مسدسه ..

وكذلك فعل الواقف بالمصعد بعد لحظة وجوم ..

من ؟!

(عزرا أهارون) بالطبع !

★ ★ ★

٦ ـ المواجهة الثالثة ..

(ستديو) سكنى فى بناية حديثة مطلة على نهر (التايمز) ـ (لندن) ..

تجلى الإرهاق فوق ملامح (آن) وهى تغادر المصعد الذى انفتح ، حاملة بين ذراعيها كيسًا ورقيًا كبيرًا ، يحوى بداخله علبة من رقائق القمح ، وعبوة من الحليب المبستر ، ورغيفًا من الخبز الفرنسى الطويل ، طعام إفطارها الذى لم تتناوله بعد ..

اتجهت فى خطوات متعبة نحو باب منزلها الجديد الذى انتقلت إليه مساء أمس فقط ، كمسكن مؤقت حتى تستقر الأمور التى انفجرت بمصرع زوجها ، والتى لا يعلم إلا الله وحده ما ستنتهى إليه ..

فظيعة هى مشاعر الأرملة .. فظيعة ..

وحدة .. سكون .. فراغ .. خواء .. برودة .. موت ..

وتحت هـذه الظـروف المريعـة أضـف إلـى كـل ماسبق شعورًا مهلكًا ..

الخوف ..

نفضت خواطرها التى تسبب لها طنينًا فى الرأس وهى تولج المفتاح داخل ثقب الباب ، لـو لـم يعضها الجوع بنابه الحاد لما كـان هنـاك مايمكن أن يقنعها بمغادرة المكان ، ما من قوة على وجه الأرض كـانت ستفعل ..

أدارت المفتاح ..

هل تشم رائحة دخان قوى ؟!

كـلا .. كـلا .. عقلها المشوش يصور لهـا هـذه الأوهام بلا ريب ..

انفتح الباب ودلفت إلى المسكن ..

أغلقت الباب و ....

ـ مرحبًا أيتها الجميلة ..

.. واستدارت فى هلع نحو الصوت ..

سقط الكيس الورقى من بين ذراعيها اللذين شلتهما المفاجأة ، واتسعت عيناها اللتان تحيط بهمـا هـالات سـوداء ، وهمـا ترمقـان ذلـك الشـخص ذا الهيئـة المفزعة ، الجـالس على أريكـة الصـالة الوحيدة فى هدوء مثير ..

ـ من أنت ؟!

نفث الرجل دخان سيجاره (لم يكـن وهمًا صوره عقلها المشوش إذن !) وقـال بهدوء ألقـى بـالوقود فوق نيران فزعها المتأججة :

ـ لقد ارتكبتِ خطأ كبيرًا ..

سألته وقد كادت تلفظ رئتيها مع أنفاسها اللاهثة :

ـ من أنت ؟! وماذا تريد ؟!

واصل كأنه يتلذذ بتعذيبها معنويًا :

ـ خطأ فات أوان إصلاحه ..

هتفت وقد كاد الخوف يذهب عقلها :

ـ اخرج من هنا .. هيا وإلا طلبت الشرطة ..

نهض فى بطء ، ونفث سيجاره من جديد قبل أن يقول بأسف تمثيلى :

ـ للأسف ، لن يفيدك هذا ..

وبسرعة أخرج مسدسًا مزودًا بكاتم للصوت ، أطلق منه رصاصة واحدة أصابت هدفها فى إحكام ..

منتصف الجبهة ..

وخرت المرأة جثة هامدة لاحياة فيها ..

ونفخ (الداهية) فى خيط الدخان البارودى المتصاعد من الفوهة ، ثم قال معيدًا المسدس إلى جيب سترته :

ـ أكره أن يظن أحدهم أنه الأدهى ..

وقصد إلى الخارج ، عابرًا فوق جثة (آن) ، وبين طعام إفطارها الذى لن تتناوله !

* * *

مبنى شركة (ستاركوم) ـ ميدان (بيكاديللى) ـ (لندن) ..

لو كنا نملك كاميرا سينمائية تصلح لنقل المشهد ، لأخذت تدور حول الخصمين أكثر من مرة ، وكل منهما يصوب مسدسه إلى رأس الآخر ، مستعد لضغط الزناد فينتهى كل شىء ..

ـ صدفة عمرى أيها المصرى ..

قالها (عزرا) وهو يخطو خارج المصعد الذى انغلق خلفه على الفور ، دون أن ينخفض ساعده المصوب فى ثبات إلى رأس (عمر) ..

ـ هل هى سعيدة مثل المرتين السابقتين أم ؟!

قالها (عمر) وبعض من السخرية يفوح من كلماته ، متراجعًا الخطوات التى خطاها (عزرا) ليحافظ على المسافة ثابتة بينهما ، ويده قابضة على المسدس فى قوة لاتلين ..

سأله (عزرا) فى حقد :

ـ وهل تتوقع أن تفلت منى هذه المرة أيضًا ؟!

قال (عمر) فى بسمة مستفزة إلى أقصى حد :

ـ أنت تعلم أنك لو أطلقت النار على رأسى فستكفى لحظة الاحتضار لأن أبادلك طلقة مماثلة ، فتكون نهايتنا معًا .. وأعتقد أنك لاتهوى الهزيمة المزدوجة أو المتبادلة ..

ابتسم (عزرا) فى مرارة ثم قال :

ـ لم أكن أحبها حتى جربت الهزيمة من طرف واحد ، إن مذاقها مر كالعلقم ..

وتابع بعد أن تلاشت بسمته خلف انفعال للسخط أقرب :

ـ لقد كدت أفقد بسببك منصبى ، بل وحياتى كلها أيها المصرى ، ولم يبق لى الكثير لأخسره ..

ـ قد يكون هناك بديل مناسب ..

ـ البدائل معدومة تمامًا فى حالتنا هذه ..

قالها (عزرا) ، ثم أردف مضفيًا على تصويبه المزيد من الدقة :

ـ الوداع يا غريمى اللدود ..

واعتصرت سبابته الزناد ، لكنه قبل أن يطلق الرصاصة بحاجز زمنى ضئيل انزلق (عمر) مختفيًا من مجال تصويبه ، ثم انحنى دافعًا إياه نحو بوابة المصعد ليصطدم بها فى عنف ، ويسقط مسدسه من يده ..

لكن (عزرا) لم يكن على استعداد للخسارة هذه المرة ..

لقد ضم قبضتيه فى سرعة ، وانهال بهما كإعصار كاسح فوق ظهر (عمر) الذى أطلق صيحة ألم قبل أن يسقط على الأرض ..

ولم يتركه (عزرا) ، واتجه نحوه ورفع إياه من ملابسه ، وبوجه قدّ من صخر قاس نظر إليه مغمغمًا :

ـ هنـاك حكمـة قديمـة تقـول (اخدعنى مرة وهو خطؤك أنت) ..

قالها ووجه لكمـة كالقنبلة إلى وجـه (عمر) ألقته للخلف لاهثًا ، واتجه (عزرا) نحوه من جديد ، ورفعـه مـن ملابسـه مـرة أخـرى ، وحدثـه بنفـس الصرامـة والقسوة متابعًا :

ـ .. اخدعنى مرتين وهو خطئى أنا ..

لكمة أخرى فجرت الدم من أنـف (عمر) وطرحته أرضًا ؛ ليرفعه (عزرا) مجددًا ويتابع بلهجة انتقام :

ـ .. اخدعنى ثلاث مرات ، وهو خطأ كلينا معًا ..

وكال لـ (عمر) لكمتين متتاليتين فى فكيه ، انكفأ على إثرهما متلويًا من الألـم ، وبينمـا انحنـى (عزرا) ملتقطًا مسدسه الذى وقع منـه ، حـاول (عمـر) أن يتحـامل على ذراعيه وينهض ، غير أنه لـم يستطع ، ووقـع من جديد ..

صوب إليه (عزرا) ـ فى استلقائه السـاكن علـى الأرض ـ مسدسه ، وهو يقول :

ـ لم يصبنى أحد بالضرر فى هذا العالم قدر ما فعلت أنت ، لم يقدر أحد على زحزحتى مـن مكانتى سواك ، وقد يحل موتك هذا الإشكال ..

واستقر تصويبه على الناحية اليسرى من الظهر ، ثم تابع :

ـ جزئيًا ..

وبكل ما يعتمل فى أعماقه من ثورة غضب ..

ومن جحيم كراهية ..

أطلق (عزرا) ثلاث رصاصات متتابعة ، نحو الهدف الذى صوب إليه تمامًا ..

* * *

ـ مازلنا نطلب منكم الاستسلام دون قيد أو شرط ..

نحى (جوتمان) المذياع الذى يحمله جانبًا ، داخـل مروحية (سكوتلانديارد) المحلقة أمام (ستاركوم) ، وزفر بكل ما جاش من رهبـة وتوتر فى أعمـاقه ، ثم غمغم فى حنق :

ـ لم أكن أتصور أن تبلغ الأمور هذا الحد ..

أشار قائد المروحية إلى نقطة قائلاً :

ـ مروحيات (المارينز) قد وصلت يا سيدى ..

نظر (جوتمان) إلى حيث أشار ليرى عددًا من طائرات الجيش المروحية يقترب ، ثم نظر إلى أسفل وقال مفكرًا :

ـ عرباتهم المصفحة وصلت أيضًا ..

وتناول مذياع اللاسلكى ليتحدث فيه قائلاً :

ـ ما هى الأحوال لديك بالأسفل يا (٣٣١) ؟!

أتاه الجواب سريعًا :

ـ لا شىء بعد ياسيدى إننا نرى البوابة والحارسين الصريعين ، لكننا نعجز عن تحديد أى من الواقفين بالداخل ..

سأل (جوتمان) :

ـ أليس لهم مطالب ؟!

ـ لم يصلنا شىء ياسيدى بعد .. هل نهجم ؟!

ـ أعتقد أننا سنبدأ بالإنزال على السطح العلوى أولاً .. كل المؤشرات تدل على هدوء تام فى الأدوار العليا .. لاتبدأ بالهجوم إلا عندما آمرك ..

ـ علم يا سيدى ..

وحول تردد الموجة ثم تحدث قائلاً :

ـ من (سكوتلانديارد) إلى قائد مروحيات (المارينز) .. سنبدأ فى الإنزال بعد ٣ دقائق ..

* * *

وراء الجدار كان (ماكلويد) يبكى كطفل جبان ، فلم تملك (روز) إلا أن تقترب منه وتضمه إلى أحضانها كأم حنون !

إنها مازالت تحب هذا الوغد رغم كل شىء ..

أما وراء عمود الجرانيت فقد كانت (دينا) ترتعد ..

وتلعن فى سرها (عمر زهران) ..

ألف ألف ألف مرة !

* * *

غريزة البقاء ؟!

التـدريب المســتمر علـى التصـرف فـى أحلـك المواقف ؟!

العناية الإلهية التى تمنح المرء قـدرة لايتصورها فى نفسه أحيانًا ؟!

ربما .. وربما قائمة طويلة من الأسباب الأخرى ..

لكن ..

يظل ما فعلـه (عمـر) بعد أن غـادرت الرصاصـة فوهـة المسدس نحو ظهره بالفعل ، أمرًا مدهشًـا ، عصيًا علـى إيجـاد تفسير مناسب سـهل الاستسـاغة عقليًا ..

لقد دار جسده فى الهواء مرتكزًا بكفيه على الأرض ، صانعًا نصف دائرة ؛ لتصيب الرصاصات الثلاث الأرض من تحته !

ثم انتصب واقفًا فى بسالة ، وهو يمسح الدم المنسـال من أنفه ..

ويبتسم !

وبقـدر مـا أدهشـت (عـزرا) الحركـة البهلوانيـة البارعـة ، بقـدر ما أحنقـه هـدوء (عمـر) وبسـمته ، فدمدم كأنه مرجل يغلى :

ـ تفضل الموت بصعوبة إذن ..

غمزه (عمر) وهو يقـول مغالبًا صـراخ الألـم فـى جسمه :

ـ هل تعلم أنه اسم ثلاثيتى السينمائية المفضلة ؟!

عاد (عزرا) يصوب نحوه المسدس قائلاً :

ـ ليكن ..

واستعد لإطـلاق دفعـة رصاصـات جديـدة ، لكـن (عمر) أسرع يوقفه قائلاً بسرعة :

ـ انتظر ..

ولم يكن (عزرا) ليأبه بالأمر لولا أن تابع (عمر) بنفس السرعة :

ـ عودتك بالشريحة الإلكترونية أجدى أم قتلى ؟!

توقفت سبابة (عزرا) عن اعتصار الزناد ، لكنه لم يخفض المسدس وهو يسأل :

ـ أهى معك ؟!

ـ كلا .. لكنى أعرف مكانها ..

صمت (عزرا) وقد حملت عيناه فيضانات من الأسئلة ، وبادله (عمر) الصمت بأبلغ منه ، تاركًا إياه يسبح فى بحور خواطره ..

حقًا .. إن قتل (عمر زهران) سيشفى غليله ، لكن عودته بالشريحة الإلكترونية انتصار له ، ونقطة تضاف فى سجله الملطخ بعدة نقاط سوداء ..

ـ وكيف عرفت مكانها ؟!

سأل (عزرا) بشك ، فأجاب (عمر) :

ـ كانت مع (روى باور) ، وكاد يقتلنى ، فتركتها وهربت بعد أن أفقدته ورجاله الوعى ..

سأل (عزرا) وشكه يتزايد :

ـ ولماذا لم تأخذها لنفسك ؟!

قال (عمر) متظاهرًا بشىء من الانزعاج :

ـ عندما أخبرك عن مكانها ستعرف ..

أخذ (عزرا) يفكر ، ويوازن بين القبول والرفض ، ويرجح بين الشك واليقين طويلاً ، حتى سأله فى النهاية دون أن يتبخر الشك من نبرته :

ـ وما الذى يدفعك لمساعدتى ، أدون (زهران) ؟!

ـ أولاً شراءً لحياتى ، وثانيًا نحن أصدقاء برغم كل شىء ، وبين دولتينا معاهدة سلام .. أم أنك نسيت ؟!

ـ حسن وأين هى ؟!

ـ اخفض سلاحك أولاً ..

تردد (عزرا) طويلاً فى فعلها ، لكنه فعل عندما قال (عمر) :

ـ هذا شرطى الوحيد ..

خفض المسدس قليلاً .. وسأله :

ـ والآن ؟!

ـ إنها هناك .. فى مكتب السيد (ماكلويد) !

قالها (عمر) مشيرًا نحو باب المكتب فى آخر الممر .. وبالطبع ارتكب (عزرا أهارون) نفس الخطأ الشهير عندما نظر إلى حيث أشار ..

بمنتهى السرعة ، وحتى قبل أن يكمل (عزرا) التفاتته نحو الباب ، انقض (عمر) عليه كالليث ، وسقطا معًا على الأرض ..

ـ أيها الـ ....

هتف بها (عزرا) ساخطًا وقد تبين الخدعة متأخرًا ، وفقد مسدسه للمرة الثانية ، وخسر مواجهته الثالثة مع نفس الخصم ..

آسف يا عزيزى ..

قالها (عمر) فى سرعة وهو يلتقط مسدسه الساقط إلى جواره ، ويوجه له ضربة ماهرة فى مؤخرة رأسه ، كانت قوتها كافية لإفقاده الوعى ..

ـ .. لكن الحرب دائمًا خدعة ..

ثم نهض (عمر) فى سرعة ولهث قليلاً ، وعدل من هندامه أمام لوح زجاجى خاص بمطفأة حريق ، ومجددًا اتجه نحو المصعد ..

لكنه فى منتصف الطريق توقف ، ومع ازدياد هدير المروحيات قرر تعديل الخطة ..

ومن فوره اتجه نحو الدرجات الصاعدة إلى سطح المبنى ، وبعد لحظات كان يقف على السطح يلوح بساعديه للمروحيات التى ملأت سماء (ستاركوم) ..

ـ أنقذونى .. أنقذونى .. النجدة ..

صاح بها (عمر) متظاهرًا بالهلع ، وداخل مروحية



وبعد لحظات كان يقف على السطح يلوح بساعديه للمروحيات التى ملأت سماء (ستاركوم) ..

(سكوتلانديارد) نظر إليه (جوتمان) بعينين قتلهما الاحمرار ، ثم رفع المذياع هاتفًا فيه :

ـ من أنت ؟! هل أنت مرسل من قبل الخاطفين ؟!

ـ كلا .. أنقذونى ..

ـ ارفع يدك اليمنى (نعم) .. يدك اليسرى (لا) ..

رفع (عمر) ذراعه اليسرى ، فنظر (جوتمان) لقائد المروحية قائلاً :

ـ اهبط لنرى ما قصة هذا !

وهبطت الطائرة عموديًا فوق السطح ، وهبط منها (جوتمان) مع اثنين من رجاله نحو (عمر) الذى هرع نحوهم صائحًا :

ـ أنقذوا الجميع .. إنهم فى خطر بالغ ..

ـ من أنت يا رجل ؟!

سأله (جوتمان) بعزم ، فأجاب (عمر) مجيدًا لعب دور الضحية التى يقتلها الرعب :

ـ أنا (جيمس جيفرسون) ، مصور بـ (فى . بى . سى نيوز) .. هذه بطاقة هويتى .. سارع بإبرازها من جيبه ، فتفحصها (جوتمان) للحظة ثم أعادها إليه سائلاً :

ـ وكيف استطعت الصعود إلى هنا ؟!

ـ إنهم فى الطابق الأرضى فقط يا سيدى .. وقد كنت .. كنت فى دورة المياه بالطابق الثانى عندما .. عندما ..

وانهار على ركبتيه باكيًا (كالحقيقة) وهو يصيح :

ـ إن معهم أسلحة كثيرة .. سوف تحدث مذبحة .. مذبحة !

استدار (جوتمان) إلى أحد الرجلين ممن معه هاتفًا :

ـ أصدر أوامر بهبوط (المارينز) فورًا ..

ـ نعم يا سيدى ..

ـ وأنت يا رجل ، تماسك .. خذ هذا المنديل وكفى بكاءً ..

تمخط (عمر) فى المنديل ، وبدأ هبوط رجال (المارينز) ..

* * *

مكتب نائب رئيس شرطة لندن ـ (سكوتلانديارد) ..

ـ كل شىء تحت السيطرة ، سيد (جوتمان) ..

قالها ضابط الشرطة الذى أدى تحية رئيسه العسكرية ، ثم استطرد :

ـ الخاطفون كما يتبدى لنا هم حفنة من العاطلين والمدمنين والمسجلين خطر فى سوابق ليس من بينها الإرهاب المسلح ، وكشف الفحص الطبى عن كون غالبيتهم تحت تأثير المخدرات ؛ إذ لم يدركوا ما كانوا يفعلون ..

ـ حمقى وأوغاد .. سينالون جزاءهم ..

قالها (جوتمان) وهو يرشف من كوب القهوة على مكتبه ، بينما تابع الضابط :

ـ ليس هناك مصابون ياسيدى ، لكننا وجدنا عددًا من فاقدى الوعى نتيجة الانهيار العصبى ، وأربعة من الجرحى فى الطابق الأخير كان من بينهم .....

ـ من ؟!

ارتسم الحرج على وجه الضابط (جوتمان) وهمس بالاسم فى أذنه ..

ـ حقًّا ؟!

هتف بها (جوتمان) فى ذهول ، فهز الضابط رأسه بالإيجاب وقال :

ـ أجل ياسيدى ، وقد نقلناه مع الباقين فى سيارة الإسعاف ..

ـ من هذا ياسيد (جوتمان) ؟!

سأل (عمر) ـ الجالس بجوار (دينا) / (كارلا) ـ

مخفيًا بسمة خبيثة لاحت على شفتيه ، فأسرع (جوتمان) يجيب متلعثمًا :

ـ لا أحد .. أعنى .. لم نتأكد من شخصيته بعد لنعلنها ..

وبينما انصرف الضابط ، والتفت إليهما (جوتمان) قائلاً بدبلوماسية :

ـ إننى أشكرك باسم (سكوتلانديارد) ياسيد (جيفرسون) على ما قدمته لنا من عون .. لولاك لتأخر الاقتحام قليلاً نظرًا لنقص المعلومات ..

قال (عمر) متظاهرًا بالتواضع :

ـ لم أفعل شيئًا ياسيدى ، أنتم تؤدون عملكم جيدًا ..

نظر (جوتمان) إلى (دينا) وقال مستغربًا :

ـ وأنت ، مس (كارلا) .. لقد رأيتك صباح اليوم فى (ريتشموند) لكنك لم تكونى أبدًا بهذا الهدوء البرىء !

حارت جوابًا وأنقذها (عمر) كالمعتاد بقوله :

ـ أنت تعلم كيف تتأثر النساء نفسيًا بأعمال العنف يا سيدى ..

ونهض بسرعة ليصافح (جوتمان) على حين غرة متابعًا :

ـ أعتقد أنكم انتهيتم من أخذ أقوالنا .. إلى اللقاء !

صافحه (جوتمان) مندهشًا ، ونهضت (دينا) خلف (عمر) دون أن تنطق !

ـ لا تنس أن تأخذ الكاميرا من الأمانات ، سيد (جيفرسون) ..

هتف بها (جوتمان) قبل أن يغادرا مكتبه ، فاستدار إليه (عمر) مبتسمًا وهو يقول فى ود مبالغ فيه :

ـ بالطبع ، سيد (جوتمان) .. أشكرك من صميم قلبى !

واختفيا خلف الباب ..

لم يسمع طبعًا الهمس الذى دار بينهما فى الطريق للأمانات ..

ـ لم أكن أتصور فشلك الذريع فى تقمص دور المنيعة !

ـ وقت مناسب للمرح ..

ـ المرح يناسب أى وقت يا عزيزتى .. خاصة ما سنواجهه فى المرحلة القادمة !

تثاءب (جوتمان) فى قوة ، ثم نهض من خلف مكتبه عندما اقتحم ضابط الغرفة فجأة ..

ـ سيد (جوتمان) ..

ـ لا مزيد ، أنا ذاهب للمنزل ، وسأعود بعد أنام عشر ساعات كاملة ..

ـ لكننا تلقينا بلاغًا بوجود جثة امرأة فرنسية فى ...

ـ لتكن (جوزفين) عشيقة (نابليون) ، ولترسل لها فيلقًا من رجالنا لو أحببت .. أما أنا .. فالنوم أولاً ..

وأضاف قبل أن يغادر الغرفة :

ـ للطاقة البشرية حدود يا رجل !

★ ★ ★

٧ ـ من الأدهى ؟

المكتب (١٧) ـ إدارة المهام الخاصة ـ مكان ما فى قلب (القاهرة) ..

ـ الشريحة إذن مع تلميذك الآن ، عميد (حرب) ..

قالها اللواء (عفت حفنى) ، وقد أطل بوجهه عبر نافذة على شاشة الحاسب الآلى الخاص بـ (الصقر العجوز) ، الذى قال فى توتر لم يجد إخفاءه :

ـ أجل يا سيدى ، لكن هذا ليس المهم ..

وتنهد مردفًا :

ـ المهم أن ينجح فى الخروج بها من (لندن) دون أن تناله قبضة (الداهية) ..

ـ ألم يظهر على الساحة بعد ؟!

سأل اللواء (حفنى) باهتمام ، فأجاب العميد (حرب) بخيبة أمل :

ـ مازال خلف الستار كعادته .. لكن (عزرا أهارون) قد قبض عليه فى أحداث (ستاركوم) كما أشارت عيوننا فى (سكوتلانديارد) ..

ـ سيتخلون عنه هذه المرة بلاشك ..

ـ هذا وارد جدًا ..

ـ وماذا عن (روى باور) ؟!

ـ كما هو متوقع ، اختفى بعد أن نقلته سيارة الإسعاف إلى المستشفى ، ولم نجد لاسمه أثرًا فى السجلات ..

ـ و(مادلين تشايمر) ؟!

ـ كأنما ابتلعتها الأرض منذ لختفت من (ريتشموند) !

ـ غريب ..

ـ هذا هو الأمر الوحيد الذى لم يكن متوقعًا ؟

بلغ الاهتمام باللواء (حفنى) ذروته وهو يسأل :

ـ وماذا تنوى أن تفعل ، عميد (حرب) ؟!

جفف العميد (حرب) عرقه بمنديله القماش ، ثم قال بعد لحظة من التفكير :

- إنهما الآن فى النقطة الآمنة (٠٠٩) ، وقد وضعت خطة لابد أن تنفيذها قد بدأ ..

ورأى أيقونة تضىء وتنطفئ فى طرف شاشته ، فأسرع يضغط بعض أزرار لوحة المفاتيح قائلاً :

- إن قسم المتابعة كان يعمل على تأمين لقاء ذى طابع خاص بينى وبينهما ، ويبدو أن الاتصال قد نجح يا سيدى ..

هز اللواء (حفنى) رأسه متفهمًا وهو يقول :

- اذهب إليهما ، عميد (حرب) .. ولا تنس أن تطلعنى على المستجدات أولا فأولاً ..

- بالتأكيد يا سيادة اللواء ..

وتلاشت صورة اللواء (حفنى) من فوق الشاشة ، ليحل محلها وجه (عمر زهران) الباسم وهو يقول فى حبور :

- أخيرًا يا سيدى ..

سأله العميد (حرب) متوجسًا :

- كيف تسير الأمور لديك ، نقيب (عمر) ؟!

رفع (عمر) جسمًا صغيرًا بين إصبعيه قائلاً :

- تم الحصول على المطلوب يا سيدى بعد جهد جهيد ..

سيطر العميد (حرب) على انفعالاته ليقول فى رصانته الأبدية :

- جيد .. سننتقل الآن إلى الخطوة التالية والأخيرة ..

وضغط أزرارًا أخرى متابعًا :

- سيكون عليكما أن تسلّما الشريحة الإلكترونية لعميل لنا فى مكان ما من (لندن) ، من المفترض أن تبرز على شاشتك الآن صورة العميل ونص عنوان اللقاء وموعده ..

ـ أستطيع أن أرى هذا يا سيادة العميد ..

قالها (عمر) محدقًا لنقطة ما على شاشته ، ثم سأل فى شىء من الضيق ..

ـ لكن لماذا لانخرج بها من (لندن) بكل سهولة ؟!

ـ تحسبًا لأى ظروف نجهلها ..

وتابع محذرًا :

ـ أنت لم تقابل (الداهية) بعد ، وليس معنى عدم ظهوره حتى الآن أنه غير موجود ..

غمزه (عمر) قائلاً فى ثقة :

ـ لاتخش شيئًا يا سيدى ، سننفذ بنود الخطة بحذافيرها ..

وبرغم ثقة العميد (حرب) اللانهائية فى (عمر زهران) ..

وبرغم كل الاحتياطات المأخوذة ..

إلا أنه لم يشعر بالاطمئنان أبدًا ..

وكيف تشعر بهذا عندما يكون غريمك (داهية) حقيقى ؟!

* * *

مطعم للوجبات السريعة ـ شارع (أكسفورد) ـ (لندن) ..

ـ أعتقد أنك أشبعت رغباتك التسوقية من (لندن) بما يكفى .. هه ؟!

قالها (عمر) مداعبًا وهو يجلس إلى جوار (دينا) على طاولة تقع فى ركن منزوٍ من المطعم ، ناظرًا إلى الكم المهول من الأكياس التى تحمل أسماء متاجر (أكسفورد) الشهيرة والتى تكومت إلى جوارهما ..

ـ للأسف لم يتح لنا الوقت أن ندخل (هارودز) !

قالتها (دينا) فى حسرة كمن ينعى عزيزًا ، فنظر إليها مندهشًا وهو يسأل :

ـ كل هذا وما زالت شهيتك للشراء مفتوحة ؟!

حدجته بنظرة قاسية وهى تقول فى جمود :

- لست زوجى لتقول ذلك ..

قال مداعبًا :

- كان اللّه فى عونه مقدمًا !

ابتسمت استسخافًا ،وصبت لنفسها كوبًا من الماء على حين قال هو فى مرح حاول أن يتجاوز به حرجه :

- ماذا ستأخذين ؟! (هامبورجر) أو (روزبيف) أو ....

.. وهبط ظل ثقيل فوق المائدة ..

- مرحبًا أيها الصديقان !

فجأة وجداه أمامهما ، يجلس على المقعد المقابل لهما دون دعوة ..

قطب (عمر) وحاول أن يقول شيئًا لكن (الداهية) سبقه :

- لاترسم انفعالات بلهاء على وجهك يافتى .. أنت تعرفنى جيدًا مثلما أعرفك وأعرف أستاذك .. ياللأيام الخوالى !

انكمشت (دينا) على نفسها - كقطة مذعورة - إلى جوار الحائط ، فى حين حاول (عمر) مرة ثانية أن يتفوه بشىء ، غير أن (الداهية) أسرع يسبقه من جديد ..

- بالمناسبة ، أنا أعرف ولع الشباب بأن يأتوا بحركات بطولية خرقاء ، لكن حذار يا فتى .. إننى أصوب نحوكما مسدسًا بيدى اليسرى أسفل الطاولة ، وهو لحسن الحظ - حظى أنا طبعًا - مزود بكاتم للصوت ..

انكمشت (دينا) أكثر وأكثر ، وصمت (عمر) موقنًا بعدم جدوى الكلمات أمام محنك كهذا ، بينما جذب (زامير) كوب الماء - الذى صبته (دينا) - بيده اليمنى ؛ ليضع فيه قرصًا فوارًا حجبته أصابعه الغليظة عن الرؤية ..

- معذرة ، فلا أستطيع هضم وجبات الغداء هذه الأيام دون مساعدة كيميائية ، إنه السن الذى يمضى باطراد كما تعلمان ..

وجرع الكوب دفعة واحدة ، ثم تجشأ فى راحة ، فى الوقت الذى تشجع فيه (عمر) ليقول فى ثبات يحسد عليه :

- ماذا أستطيع أن أفعل لك يا سيدى ؟!

ضحك (زامير) فى عنف اهتز له كرشه البدين وكتفيه العريضين ، وقال بعد أن مرت نوبة الضحك المفاجئ :

- أنت تعجبنى يافتى .. لا أنكر هذا أبدًا .. يكفى أن تغلبت على أحد أنجب رجالى لثلاث مرات متتالية . طبعًا أنت تتوقع أن يمضى السيناريو وفق الأحداث التى رتبها أستاذك .. ماذا تريد ياسيدى ؟! أريد الشريحة الإلكترونية .. أى شريحة ؟! الشريحة التى .. والتى .. والتى .. قليل من المفاوضات وكثير من المساومات ثم ترفع الراية البيضاء وتعطينى إياها بكل سلاسة .. ثم .. إلى لقاء آخر يا أحبائى ! كلا .. قد يصلح هذا مع مبتدئ غرير ، لكنه لن يصلح أبدًا معى .. مع (الداهية) ..

واعتدل (زامير) فى جلسته ، وعدل بيده اليمنى من وضع ياقتى معطفه الثقيل ، ثم تابع كأستاذ يحاضر :

- لقد أطلقت عينًا من عيونى خلفكما منذ كنتما فى نقطتكم الآمنة (٠٠١٦) فى شارع (كنت) ، وتابعت مغامراتكم البارعة وتنكركِ المذهل يا صغيرتى فى (ستاركوم) ، وظللت أتابعكم عبر عيونى حتى انتهى بكما المطاف إلى النقطة (٠٠٩) التى تعلمان مكانها جيدًا .. وهنا بدأت حرب الدهاء القديمة تشتعل من جديد بينى وبين (الصقر العجوز) .. لقد حاول المسكين خداعى بطريقة مكشوفة عندما أتم الاتصال بينه وبينكما على موجة سهلة الكشف عبر فضاء (السايبر) ، كشف خبراؤنا العظام شفرتها فى ثوان ، وأراد أن يستدرجنى إلى هنا حيث موعد ومكان تسليم الشريحة لعميل من عملائكم .. منتهى الاستهانة بذكاء الخصم .. غلطتكم المعهودة أو ربما هى قدراتكم المحدودة .. لكنى فطنت إلى الخدعة وكشفتها حتى قبل أن تبدأ ..

وابتسم (زامير) فى نشوة ، وواصل بكل فخر واعتزاز بالنفس :

- بمجرد وصولكما للنقطة الآمنة قمتما بتسليم الشريحة الأصلية للسيدة التى تقيم فى النقطة بصفة دائمة ، وتعمل لجانبكم بصفة غير دائمة ربما لأن زوجها السابق الذى أولدها طفلها الوحيد مصرى ، فهبطت من فورها إلى أحد مكاتب الشحن السريع ووضعت الشريحة داخل طرد مغلق كان من المفترض أن يصل الليلة إلى (الإسكندرية) ، أقول المفترض ، لأن الطرد لن يصل أبدًا ..

وبيده اليمنى كشف عن الجيب الداخلى لمعطفه ، لذى يستقر داخله مظروف ضخم يبرز الجزء العلوى منه فقط ، وقال :

- ها هو ذا .. عبر أفراد شبكتى المنتشرين كالحمّى فى أنحاء (لندن) استطعت الحصول عليه ، وتأكدت بنفسى من المعلومات المسجلة على الشريحة الإلكترونية ، وهى الآن فى طريقها بحوزة أحد عملائى إلى (تل أبيب) ..

ثم عاد يرتج ضاحكًا وهو يقول :

- أما بالنسبة لأى شرائح إلكترونية أخرى كنتما تودان إعطاءها لى - إن كان هذا سيحدث - فاحتفظا بها لكما .. وأعطياها لـ (الصقر العجوز) دون أن تنسيا إبلاغه بأحر تحياتى القلبية .. وأخبراه أنى متشوق لتحدٍّ آخر فى حرب دهاء أخرى .. شريطة أن يتعلم من ماضيه ..

ثم نهض مطلقًا ضحكة أخرى صاحبت قوله :

- بالمناسبة ، لم يكن فى يدى اليسرى مسدسات من أى نوع ..

وكشف عن يديه ، ثم وضعهما فى جيبى معطفه وهو يمضى مطلقًا ضحكة أخرى وأخيرة ..

ضحكة منتصر .. ظافر ..

وإذ اختفى ، حدقت (دينا) فى وجه (عمر) الجامد مليًّا ، ثم تنحنحت فى النهاية وقالت هامسة :

ـ بـ .. بقى أقل من ساعة على موعد الطائرة ..

نظر إليها ثم قال :

ـ هناك مشوار أخير .. لن يستغرق وقتًا طويلاً ..

وابتسم !

* * *

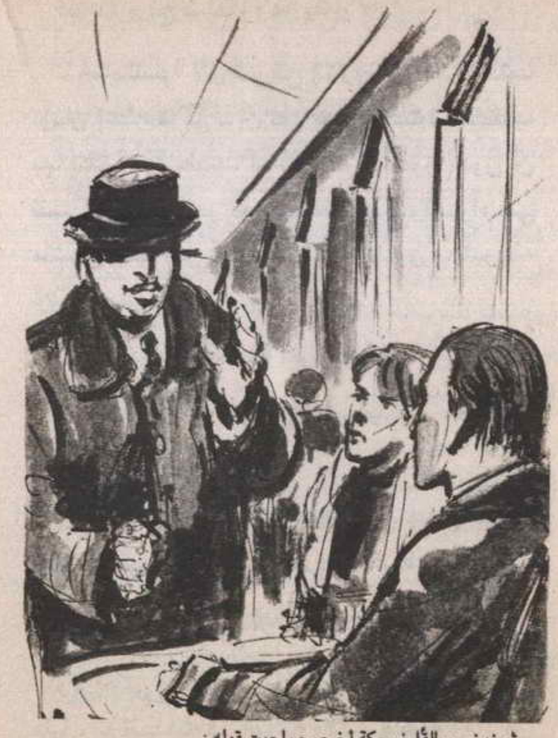
مكتب (فى . بى . سى نيوز) الإقليمى ـ (لندن) ..

ـ هذا مبهر .. أكثر من رائع ..

هتفت بها (كارلا روبرتس) ـ (الحقيقية !) وهى تشاهد على شاشة صغيرة ما سجلته كاميرا (عمر) من وقائع عنف شهدتها (ستاركوم) ..

ـ برغم أن الكاميرا فى وضع ثابت ، إلا أنه سبق بكل المقاييس .. فالكاميرات تبين الكثير مما ستتهافت عليه كل وكالات الأنباء والمحطات الأخرى ..

قالها المصور الفعلى الذى صاحب (كارلا) فى



ثم نهض مطلقًا ضحكة أخرى صاحبت قوله :

ـ بالمناسبة ، لم يكن فى يدى اليسرى مسدسات من أى نوع ..

(ريتشموند) ، فنظرت الأخيرة نحو (عمر) و(دينا) لتسأل بلهجة عملية قحة :

ـ وكم تريدان ثمنًا لهذا الشريط ؟!

ابتسم (عمر) قائلاً على الفور :

ـ لا شيء ..

ـ لا شيء ؟!

سألته باندهاش مستنكر ، فوضح قائلاً :

ـ اعتبريه هدية ، لم أكن لأستفيد منه فى كل الأحوال ..

ـ إنك تمزح بالتأكيد !

قالتها فى شك ، فقال فى رصانة لم تقلل من شأنها ابتسامته :

ـ أعنى دومًا ما أقول ..

قالت (كارلا) فى هدوء لم يخف حماسها الدائم لأى شىء :

ـ انظر يا سيدى .. لابد أنك تعلم أننى قد أجنى من ورائه أرباحًا مهولة هل كنت تعلم ذلك ؟!

قال ـ ناهضًا ـ فى لهجة حاسمة :

ـ أعلم .. وهنيئًا لك بأرباحك المهولة التى لاتهمنى .. كل ميسر لما خلق له يا سيدتى !

نهضت وصافحته قائلة :

ـ لايسعنى إلا أن أقول (شكرًا لك) ..

صافحها وقال :

ـ لست فى حاجة حتى لهذا الشكر .. أراك ....

ـ سنلتقى من جديد .. أليس كذلك ؟!

ـ من يدرى ؟! لندع تقرير هذا للظروف ..

ولم تستطع (كارلا) منع نفسها من متابعته وهو يغادر بنظرات إعجاب بيّن ، بينما جاهدت (دينا) لخنق شعورها الداخلى بالضيق ..

بل لم تدر حتى سبب شعورها هذا ..

أهو موقف (عمر) ؟!

أم ؟!

فى الحقيقة .. كانت تعلم ..

وهذا ما كان يضايقها أكثر !

* * *

٨ ـ الضاحك أخيرًا ..

المكتب (١٧) ـ إدارة المهام الخاصة ـ مكان ما فى قلب (القاهرة) ..

ـ وابتلع الطعم ؟!

سأل العميد (منصور حرب) بلهفة ، فأجابه (عمر زهران) بجذل :

ـ بكل سرور ، لو أردنا تعبيرًا جديدًا ..

غمغمت (دينا) بامتعاض :

ـ يا للشاعرية !

تراجع (عمر) بظهره ليغوص فى المقعد الجلدى الوثير ، ثم استطرد فى تلذذ :

ـ من كان يتصور أن الطفل الصغير البالغ من العمر إحدى عشر عامًا فقط هو محور الخطة كلها ؟! إن هذا

لايخطر ببال أحدٍ قط ، حتى (الداهية) نفسه .. والصبى مدهش حقًا ياسيدى .. بمجرد وصولنا صنع نسخة أخرى من الشريحة الإلكترونية ، وزرع داخل الشريحة الأصلية فيروسًا كامنًا ينشط بعد يوم ونصف ويحطم محتويات الشريحة كلها ، كل هذا فى أقل من ثلاث دقائق ! وفى نفس الوقت الذى هبطت فيه أمه البريطانية أرملة ضابطنا المصرى السابق ، اتجه هو بكل براءة إلى مقهى للإنترنت وأرسل لكم بكل المحتويات على عنوان آمن فى (إيطاليا) .. ثم أرسلها لكم بالبريد العادى على عنوان آخر فى جمهورية (التشيك) ، فى حين اصطحبنا معنا فى المطعم شريحة ثالثة خاوية من البيانات تحسبًا لأى ظرف طارئ .. إنها خطة عبقرية بكل ماتحمله الكلمة من معان ياسيادة العميد ..

تجاهل العميد (حرب) الإطراء متعمدًا ، وغمغم وقد لمعت عيناه :

ـ لم تتطور عقلية (الداهية) إذن بمرور الزمن !

هوى (عمر) براحته على ركبته وهو يقول ضاحكًا :

ـ أتصور مظهره ظهر الغد عندما يلتهم الفيروس كل المعلومات التى فى حوزته ليحيلها حطامًا ..

شرد العميد (حرب) بفكره لحظة ثم قال :

ـ لن يصمت حتى يسترد شرفه المهدر ..

قال (عمر) باستهانة كعادته :

ـ نحن له مرات ومرات ..

هز العميد (حرب) رأسه فى رضًا ، ونقل بصره بينهما قائلاً :

ـ لقد أديتما عملاً رائعًا بكل صراحة ..

قالت (دينا) وهى تستعيد ذكريات غير محببة :

ـ نعم .. وكاد قلبى ينخلع رعبًا أكثر من مرة !

ـ ستعتادين هذا بمرور الوقت ..

قالها العميد (حرب) ، ثم نظر إلى شاشة حاسبه الآلى قائلاً :

ـ بالمناسبة ، نقيب (عمر) .. لقد أرسلت لك (مادلين تشايمر) خطاب شكر إلكترونيًا ..

ـ حقًا يا سيدى ؟!

سأل (عمر) وقد رفع حاجبيه فى استغراب لم تتلاش معه غبطته ، فأشار العميد (حرب) إلى الشاشة قائلاً :

ـ تعال وانظر بنفسك ..

نهض (عمر) وحدَّق فى الشاشة آخذًا فى قراءة السطور الفرنسية ببطء ..

تركتك إذ أنقذت حياتى ..

لكنا سنلتقى مرة أخرى ..

م . ش

ـ يا لها من متفائلة ..

قالها (عمر) ضاحكًا ، بينما لحظ العميد (حرب) التغير الذى اعترى ملامح (دينا) ، والذى سارعت بإخفائه خلف قناعها الجليدى الثابت ، فقال :

ـ أنت تعرف النساء !

ثم نهض قائلاً فى حزم أبوى حنون :

ـ والآن اتركانى أنعم بقليل من الراحة .. هيا .. إلى المنازل !

وضمتهما سيارة (عمر) الزرقاء المكشوفة تحت قبة الليل السوداء ..

ـ جو ربيعى منعش ..

قالها (عمر) وهو يستنشق هواء الليل المعطر بقوة ، وتهدَّج صوته إذ قال :

ـ نسمات حالمة شفافة ، تُحرِّض على قول الشعر ..

قالت (دينا) غير مخفية دهشتها :

ـ من يراك الآن لا يراك فى أثناء العمل ..

تجاهلها وأدار مسجل السيارة ، لينبعث ساكس (كينى . جى) الناعم مضفيًا على المشهد لمسة أخرى من الرومانسية ..

ـ هل تعرفين ماذا قال (محمود درويش) ؟!

لم ترد ، لم تسأل حتى (ماذا ؟) ، نـبرات (عمـر) الخفيضـة وعينـاه الغائبتـان عن الدنيـا جعلت لسانها يتجمد فى حلقها ..

لكنها كانت تعلم أنه سيقول ما يريد ..

ـ (نحب الحياة ما استطعنا إليها سبيلاً ..) !

نطقها (عمر) ببطء .. وبدفء .. وبحنان ..

وتردد صدى الكلمات داخلها طويلاً ..

وشعرت بقلبها .. يدق !

ربما لأول مرة منذ زمن طويل ..

.. وانطلقت بهما السيارة ..

★ ★ ★

[تمت بحمد الله]

عملية الداهية


محمد سليمان عبد المالك

المكتب 17

إدارة المهام الخاصة

****

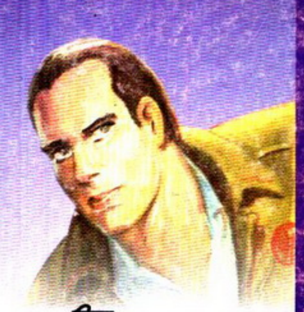
سلسلة روايات عصرية للشباب حافلة بالمغامرة والإثارة والتشويق

ويستمر الصراع فى أجواء (لندن) الضبابية ، ويتصاعد حتى يصل إلى نقطة حرجة ، لانملك عندها إلا أن نتساءل :

ترى ... من سيربح ؟!

بعبارة أخرى :

ترى ... من الأدهى ؟!



الثمن فى مصر ٢٠٠ ـــص
وما يعادله بالدولار الأمريكى فى سائر الدول العربية والعالم

العدد القادم
عملية صائد الفيروسات